



Princeton University Library



32101 064954553

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



لا يحذر لمن لم يطلع على الكتب المولفة في الرد على الرهائن
 الرضاة المصلحة أن يقدر في مثل هذه الرسائل اربع
 كتب طهوان الله

فصل المقال وارشاد الضال

في توسل الجهال

— ❧ تأليف الاستاذ المفضل ❧ —

والاسد الجوال رب المقد والتحرير الشيخ أبي بكر خوقير
 الكتبي بمكة المكرمة

طبع على نفقة الوجيه الفاضل الحاج عبد القادر التلمساني

— ❧ الطبعة الاولى ❧ —

طبع بمطبعة مجلة المنار الاسلامية بمصر سنة ١٣٢٤ هجرية

(RECAP)

(~~Amma~~)

BP166

K486

1906

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم اننا نحمدك ونستعينك ونستهديك ولا نعبد احدا غيرك ولا نرجو سواك ولا نتوكل الا عليك ولا نستعين الا بك ولا ندعو سواك ولا نلجأ الا اليك . ونصلي ونسلم على من ارسلته باخلاص العبادة والعبودية والذب عن حماك في الالهية وعلى آله واصحابه والتابعين وتابعهم واحزابه يا مجيب دعاء المضطرين ويا امان الخائفين من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرك ومتابعة رسولك والجهاد في سبيلك اما بعد فقد بلغني ورود رجل من افاضل الهند الى ثغر جده المحروس فوصلت الى محله للسلام عليه حبا في العلم واهله فحصلت معه مذاكرة في التوسل وما تفرع عنه من توسع الناس فيه قولاً وفعلاً فظهر من هذا الرجل تعصب جاهلي وقال ان آدم توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه ورد في تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) انه قال «يا رب بحق محمد اغفر لي» فكتبنا له عبارات الامام ابن جرير والامام ابن كثير في تفسير تلك الآية (وسياي تصبها) فأرسل الينا رسالة بامضائه

هكذا (المفتي احمد حسن الجالندري) وقد افرغ في هذه الرسالة ما في
 جمعبته واعرب عن وقاحتها وجهله المركب وما عنده من فاسد التعصب
 وبرهن باحنه وتراكيب عباراته على عدم معرفته كلام العرب واطراف
 الى عجمته وجهله الكذب وسوء الادب - يقول فيها: صديقي وخليلي الشيخ
 عبد القادر: ثم يهكم ميرا النابتة - اطي التجارة كأنه يرى استحالة اجتماعها
 مع العلم الم يعلم بان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاطون اسباب
 التجارة والحرفة ولم يمنعهم الصنف في الاسواق من الصلاة مع رسول
 صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه حتى نوه الله بشأنهم في القرآن العزيز
 بقوله (رجال لا تلهيهم تجارة) الآية وكان من اعظمهم ثروة عبد الرحمن بن
 عوف الذي اختاره فمن انتخبه للخلافة والشورى وقد اتجر كثير من
 العلماء والأئمة وتعاطوا أسباب الحرفة وطاب المعيشة وقد ذكر بعضهم أن
 الغنى مما يزيد في العقل وقد أجمع أهل العلم على أن العلم ليس بكثرة لرواية
 وانما هو نور يضعه الله في قلب من شاء كما قاله الامام مالك وكما في الحديث
 «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» . نعم ينبغي ان يعير العالم اذا تاجر
 بعلمه وجعله شبكة يصطاد به الدنيا او يخدم به اغراض الحكماء حتى يحصل
 مرتبا او لقبا مثل (خطاب شمس العلماء) نعم ينبغي ان يعير العالم اذا
 تصدر (للقيا) وهو ليس اهلا لها وتجاسر على القول بما لا يعلم واسرع
 في الجواب ولم يرقب رب الارباب فقد قال صلى الله عليه وسلم «أجراً كم
 على القيا اجراً كم على النار» وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ن
 السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وأعظم الناس جرأة
 على الله واقترء على رسوله القصاصون الذين نصبوا أنفسهم للوعظ على

٨
 21644
 1151

جهل مثل هذا الرجل فليس عندهم من العلم والحياء من الله ما يمنهم من انطلاق أسنتهم في القول بما يكون بل يهرفون بما لا يعرفون ليستميلوا العامة ويصرفوا وجوه الناس اليهم ملبسين عليهم بزي اهل العلم والتصوف وراس مالهم لوقاحة بمحض الدعوى وصلافة الوجه وقد اتفق فيما مضى أن جلس الامام أحمد بن حنبل والامام يحيى بن معين في حلقة قصاص وهو يقول حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن معين وصار الامامان يلتفت أحدهما على الآخر ويقول كل منهما الصاحب هل سمعت هذا الحديث هل حدثت به فيقول لا فجاء لى ذلك القصاص بعد فراغه من الوعظ فقال يا رجل اننا فلان وفلان وكلانا لم نسمع بما حدثت فكيف ترويه عنا فقال كنت اظن ان لكما عقلا اني رويت عن سبعين رجلا اسمه احمد بن حنبل وسبعين رجلا سمه يحيى بن معين اتظنان ان ليس في الوجود غيركما فتركاه وانصرفا يتعجبان من وقاحته فهم اصل كل بلية في الاحاديث الموضوعة وقد قبيض الله رجلا في كل زمان ومكان لنصرة دينه باحقاق الحق وابطال الباطل وكشف حال المدلس العاقل فينفون عنه تحريف الغالين واتحال المبطلين لما أخذ الله الميثاق على اهل العلم ايبيئونه للناس ولا يكتمونه وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما لجهل الله بلجام من نار » وقال صاحب الوهبانية

من الدين هتك السر عن كل كاذب وعن مدع ما ليس فيه ويشهر

فهذا وجب علينا الاتداب للرد على هذه الرسالة فكتبنا هذه العجالة وسميناها (فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهال) ونسأله تعالى التوفيق والهدية الى اقوم طريق

مقدم

اعلم ان مدار التوحيد على منتهى التعظيم القلبي بانواع الخضوع الذي هو العبادة والعبودية كما هو متضى معنى (الاله) فانه هو ما تالهه القلوب محبة ورجاء وخوفا وتوكلا ولهذا ورد في الحديث القدسي «ما وسعني ارضي ولا سماءي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» (١) وحماية له وصياة لهما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اطرائه روى له الفداء وسد ذرائع كثيرة من مظان الشرك وانذرنا بانه اخفى من ديب النمل . وقد بايع نفرا من اصحابه على ان لا يسألوا الناس شيئا فكان احدثهم يسقط السوط من يده فلا يقول لاحدنا وولنيه . ومنع من تعليق لاوتار والتمائم وامر بقطعها وبعث رسوله كما في السنن وغيرها وقال من تعلق شيئا وكل اليه ونهى عن قول الرجل ماشاء الله وشئت وقال لمن قال له ذلك اجعلتى لله ندا ومنع من التبرك بالاشجار والاحجار وقال لابي واقد الليثي واصحابه من من مسلمة الفتح لما قالوا انه اجعل لنا ذات الواط كما لهم ذات انواط «قلم والذي نفسى بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة» ونهى عن الصلاة عند القبور وان لم يقصدها المصلي ولعن من فعل ذلك واخبر أنهم شرار الخلق عند الله ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه

(١) وردنا هذا الحديث للاستشهاد بمعناه الصحيح وان لم يصح رواية قال شيخ الاسلام ابن تيمية في جواب من سأل عنه : هذا مذكور في اسراء تيليات ايس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى وسعى قلبه الايمان بي وبخنى ومعرفتي ولا من قال ذات الله نخل في قلب الناس فهذا من النصارى خصوصا ذلك بالمسيح وحده

غيره حسما لمادة الشرك وقطعا لوسائله وسدا لذرائعه وحماية للتوحيد
وصيانة لجانبه

وبيان ذلك هو ان التعظيم مما يستدرج صاحبه الى الغلو بطبيعته
ويجري فيه مجرى الدم ويسري في عروقه من حيث لا يدري والطبع
العالمي نزاع الى المحسوسات نافر عن المعقول الذي يعقله العالمون
الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلّة ولسكونه الى المثال عدل من اهل
الملل الى التصوير في الكتب والهياكل كاليهود والنصارى ثم المنانية خاصة
وناهيك شاهدا على ما قلته أنك لو ابدت صورة النبي صلى الله عليه وسلم
او مكة والنكبة اعلمي والمرأة لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي
التقيل وتعفير الخدين والتمرغ كانه شاهد المصور وقضى بذلك مناسك
الحج والعمرة وهذا هو السبب الباء على ايجاد الاصنام باسمي الاشخاص
المعظمة من الانبياء والعلماء والملائكة مذكرة امرهم عند الغيبة والموت
مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت الى أن طال العهد بعاملها
ودارت القرون والاحقاب عليها ونسيت اسبابها ودواعيها وصارت
رسما وسنة مستعملة . ثم داخلهم اصحاب انواميس من بابها اذ كان ذلك
أشد انطباعا فيهم فاجبوه عليهم . وهكذا وردت الاخبار فيمن تقدم عهد
الطوفان وفيمن تاخر عنه وحتى قيل ان كون الناس قبل بعثة الرسل امة واحدة
هو عبادة الاوثان هكذا ذكره الحكيم البيروني في تاريخ الهند (١) ثم ذكر
ما كان لاهل التوراة واهل الهند والروم واليونان . وقد حكى الله في

(١) قال في خطبته وليس الا مكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل

فيه بايراد حجج الخصوص ومناقضة الزائغ منهم عن الحق وانما كتاب حكاية

كتابه شيئاً كثيراً من احوال المشركين من العرب وغيرهم وانزل ثلثه
 في التوحيد فعلى المؤمن المنصف أن يمعن نظره فيه وليتدبر حال الجاهلية
 مع مراجعة تفسير الامام ابن جرير وابن كثير والبنغوي فقد قال عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في
 الاسلام من لا يعرف الجاهلية ثم لينظر ما جاء في السنة من سد كل
 ذريعة فاذا عرف ذلك تبين له عذر المانعين من التوسل بالانبياء والصالحين
 بعد موتهم سيما اذا روي ما يترتب على قول المجوزين له من فتح باب
 الفتنة والبدع الجملة وادخال ما ليس من التوسل في بابه من كل طامة مما
 ينافي التوحيد على خط مستقيم حتى صار الشرك الصراح يسمى توسلا
 عند كثير من رؤساء الجهال من المشايخ المتصوفين، ومن نماذجهم من
 المدلسين. او من اخذته العزة بالاثم عن قبول الحق من المكابرين، وكفاه
 عقوبة ضميره الذي يبكته كل حين. فليت الجهال اقتصروا في التوسل
 على كل ما يفيد الوساطة مع توجيه الطلب الى الله سبحانه ولكنهم نسوا
 وتوجهوا الى الاموات، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وهتفوا باسمائهم عند
 الملمات، والاشراف على التهلكات فزادوا في الطنبور نعمة على كفار قريش
 معتقدين فيهم النفع والضرر مملوءة قلوبهم تعظيماً وحباً لهم وخوفاً ورجاءً

فاورد كلام الهندي على وجهه وأضيف اليه مالديونانيين من مثله لتعريف المقاربة
 بينهم فان فلاسفتهم وان نحروا التحقيق فانهم يخرجون فيما اتصل بعوامهم
 عن رموز نحلهم ومواضع ناموسهم ولا اذكر مع كلامهم كلام غيرهم
 إلا ان يكون للصوفية اولاً حداصناف النصارى لتقارب الامر بين جميعهم
 الحلول والاتحاد اه

ونذروا لهم النذور وقربوا لهم الذبائح ولاذوا بالقبور ووقفوا عندها خاضعين منكسبين الرؤس واضعين الأكف على الأكف خاشعين . ولا يعتبرون بمن وقف معهم في ذلك المقام من الوثنيين المعروفين عندهم من البانيان والمجوس في الهند فقد صرفوا جملة عبادات لغير الله مع دعائه الذي هو مخ العبادة كما في الحديث ولقد بلغ التعظيم للاموات في قلوب الجهال فوق الغلو الى حد نسوا الله فيه . يحلف احدهم بالله كاذبا ولا يحلف بالولي الذي يعتقد خوفه من العطب حتى ادى هذا الحال عند بعض المتأخرين من القضاة تحليف من طلب منه اليمين فوق قبر الولي الذي يعتقد فيمسكونه المصحف فوق التابوت ويحلفونه به . فياليت أولئك القوم يقولون بكراهة الطلب من الميت فيما لا يقدر عليه بدلا عن تصريحهم أن ذلك توسل وقربة وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في ذلك وليتهم يكتبون رسائل في تقييح ذلك اوليتهم يسكتون ويستحيون ولا يكابرون ويتركون التأليف في تحسين ذلك والحث عليه والدفاع عنه والتشويق اليه بمدائح شعرية، وانشاد مقامات شيوخية، كأنهم يرون أن الدين لا يتم الا به وأن تعظيم الانبياء والصالحين لا يكون الا بذلك وكأنهم يرون أن العامة محتاج الى زيادة ارشاد اليه وحث عليه وكأنهم لا يشعرون الى الآن بما حل بالامة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا الا ينظرون الى ما يكتبه خطباؤنا الاذكياء في المجلات العلمية كأنهم يضربون في حديد بارد أو يخاطبون أمواتا فالى الله المشتكى

ولو ترك بعض أولئك الرؤساء العناد وتنازلوا قليلا عن الغلو الذي هم فيه لوجدوا أمامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع من ذلك . قال

في طوابع الانوار شرح تنوير الابصار مع الدر المختار للشيخ محمد عابد السندي الحنفي ولا يقول يا صاحب القبر يا فلان اقص حاجتي أو سلها من الله أو كن لي شفيعاً عند الله بل يقول يا من لا يشرك في حكمه أحدا اقص لي حاجتي هذه وحيدا كما خلقتني اه

وقال في التناوي البرازية من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفراه وقال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي لما صعبت التكليف على الجهال والطعام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليتها وخطاب الموتى للحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا أو أخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر قنءاء بمن عبد اللات والعزى اه قال الامام الشوكاني في الدر النضيد في التوحيد واذا عرفت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة وذلك ما صار يعتقدده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من انهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت السننهم بما أنطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرحون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء وهذا اذا لم يكن شركا فلا ندري ما هو الشرك واذا لم يكن كفرا

فليس في الدنيا كفر وها نحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها المنع مما هو دون هذا بمر احل وفي بعضها التصريح بأنه شرك وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه يسير فارجم اليه ان شئت . وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه سيف الله على من كذب على أولياء الله: هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعدهم ماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبلبات وبهم تشكف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والندور، وأثبتوا لهم فيها الاجور، قال وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الائمة، وما أجمعت عليه الامة، وفي التنزيل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ثم قال فأما قولهم ان لاولياء تصرفات في حياتهم وبعدهم ماتهم فيرده قوله تعالى (أإله مع الله - أإله الخلق والامر - لله ملك السموات والارض) ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا واحياء واماتة وخلقاً وقد تمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه كقوله تعالى (هل من خالق غير الله - والذي تسعون من دونه ما يملكون من قطيع) وذكر آيات

في هذا المعنى ثم قال فقوله في الآيات كلها «من دونه» أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره إلى أن قال ان هذا القول وخيم وشرك عظيم إلى أن قال وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة قال جل ذكره (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت) الآية وقوله (كل نفس ذائقة الموت) (كل نفس بما كسبت رهينة) وفي الحديث «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث» الحديث وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن ارواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فإنه سبحانه يجبر أن الارواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة (قل أءنتم اعلم ام الله) قال واما اعتقادهم ان هذه التصرفات من الكرامات فهو اعظم من المغالطة لأن الكرامات شيء من الله تعالى يكرم بها اوليائه واهل طاعته لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم ابنة عمران وأسيد بن حضير وابي مسلم الخولاني وقال واما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادرة قوله (ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اءله مع الله - قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) وذكر الآيات في هذا المعنى ثم قال فإنه جل ذكره كرر انه الكاشف للضر لا غيره وأنه المنفرد باجابة المضطر وأنه المستغاث به لذلك كله وأنه القادر على

دفع الضر القادر على ايصال الخير فهو المتفرد بذلك فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك وني وولي قال والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال او ادراك عدو او سبغ ونحوه كقولهم يا آل زيد يا للمسلمين بحسب الافعال الظاهرة بالفعل واما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطاب فيها غيره قال واما كونهم معتمدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهاد وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات فنعتقد ان لغير الله من نبي وولي او روح او غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجه تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطر فهو على شفا جرف من السعير وأما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فحاشا لله ان تكون اولياء الله تعالى بهذه المثابة . فهذا ظن أهل الاوثان كما أخبر الرحمن (هؤلاء شفعاؤنا عند الله * ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى *) أي اتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر) الآية فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي او ولي وغيره على وجه الامداد منهم شرك مع الله تعالى اذ لا قادر على الدفع غيره ولاخير الاخير قال واما ما قالوه ان منهم ابدالا وتقباء واوتادا ونجباء وسبعين وسبعة واربعين واربعة والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار (قال الهندي) ورد عليّ كتاب من خابلي وصديقي الفاضل الجليل الشيخ عبدالقادر التلمساني في تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب

عليه) جاء باقوال مستدلا بها على أن آدم عليه السلام ما توسل في دعائه
بسيد الرسل صلى الله عليه وسلم وما كانت الكلمات (اللهم بحق محمد اغفر
لي خطيئتي النخ)

أقول هذا صورة الكتاب الذي قد مناه الى هذا الرجل بنصه
بيان ماورد في قوله تعالى - (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)
في التفسير الكبير للعلامة الفاضل محمد ابن جرير الطبري عن ابن زيد تابعه
ابو زهير ومجاهد وقتادة والحسين (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ابن عباس (أي رب ألم تخلفني بيدك قال
بلى ، قال أي رب ألم تنفخ في من روحك قال بلى ، قال أي رب ألم
تسكني جنتك قال بلى ، قال أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى
قال أرأيت ان انا تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال بلى) وعنه
أيضا (رب ان انا تبت واصلحت قال اني اذا راجعتك الى الجنة) - أبي
العالية (يارب أرأيت ان انا تبت واصلحت فقال الله اذا راجعتك الى الجنة)
فهي من الكلمات ومن الكلمات أيضا (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) - اسباط عن السدي (قال رب ألم
تخلفني بيدك قيل له بلى ، ونفخت في من روحك قيل له بلى ، قال
وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى ، قال رب هل كنت كتبت علي
هذه قيل له نعم ، قال رب ان تبت واصلحت هل أنت راجعي الى الجنة قيل
له نعم ، قال الله : فاجتبه ربه فتاب عليه وهداه) - سفيان عن عبدالعزيز بن
رفيع عن عبيد بن عمير تابعه ابن سنان وفضيل وخلافه (قال آدم يارب
خطيئتي التي اخطأتها شيء كتبت علي قبل ان تخلفني أو شيء ابتدعته من

قبل نفسي قال بل شيء كتبت عليه قبل ان اخلقك قال كتبت علي فاغفره لي - عن معاوية « اللهم لا اله الا انت سبحانك وبمحمدك استغفرك وأتوب اليك تب علي انك انت التواب الرحيم » - عن مجاهد (اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبمحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم - وعنه أيضاً (قال أي رب أتتوب علي ان تبت قال نعم فتاب عليه وبه) اه بحر وفه

قال الهندي « تعجبت عجباً لان الشيخ مع كماله كيف ترك اصول الدين وقواعد الدين المتين التي عليها مدار الشريعة الفراء والملة البيضاء وترك الحديث المرفوع في تفسير الكلمات وجاء بأقوال العلماء المختلفة سنذكر الحديث ان شاء الله تعالى »

أقول ما أورده علي فهو وارد على الامام بن جرير الطبري وينبغي ان يتعجب منه كما تعجب مني فانه ترك ذلك الحديث المرفوع واني لم أزد على ان نقلت كلام ذلك الامام الذي هو التفسير بالمأثور حقيقة عن الصحابة وسلف الامة وأئمتها وتركه لذلك الحديث يشعر بعدم اعتباره صالحاً للتفسير هذه الآيقو الطعن فيه وناهيك بمثل هذا الامام الذي أجمع أهل العلم على أن تفسيره اعظم التفاسير قال ابو حامد الاسفرائيني لو سافر رجل الى الصين في تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً وقد ترك ذلك الحديث ايضاً الامام البغوي فلم يرج عليه في تفسيره وكذلك الحافظ ابن كثير وغيرهم من أئمة التفسير

الحقّيقين كما يأتي بيان ذلك وانه لا عبرة بنقل من يجمع بين الفسّاد والسامين فيكون كحاطب ليل او جارف سيل فالحجة بما ثبتت عن الصحابة وعن سلف الامة وأئمتها فاذلك قدمنا اليه ذلك الكتاب وقول الهندي وجاء بأقوال العلماء المختلفة فيه تمويه فقد سمعت نص ما كتبه له من اقوال الصحابة والتابعين وأئمة التفسير ولا خلاف بينها اذ يمكن اجتماعها كلها ومن القواعد المقررة في مصطلح الحديث ان قول الصحابي في حكم المرفوع اذا لم يكن مثله مما يقال من بادي الرأي او من الاسرائيليات وستأتي حقيقة ذلك الحديث المرفوع فهذا الرجل لم يعلم حكم هذا الحديث من الصحة او الضعف او الشذوذ لانه لم يعرف اسناده ولم يطلع على ما قيل فيه ولم يدر ان الحديث الصحيح ما شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به فانهم قالوا ان الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة وانه لا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة او موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث من أئمة التصحيح والترجيح

قال الهندي « مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ وما فهم وما درس » : أقول انظر الى الجهل كيف يعمل بصاحبه وكيف يطلق لسانه وبقول حيايه قال الهندي: « لو نظر في الكتب لوجد أن أقوال العلماء لا تعارض الحديث المرفوع » : أقول لو عقل هذا الرجل وفهم ما انظر فيه من الكتب وأنصف لما فاه بتلك الجملة التي دلس فيها فسيأتي انه ليس كل حديث مرفوع حجة فان منه الضعيف الذي يقدم عليه قول الصحابي اذا صح فانه في حكم المرفوع كما تقدم وقد علمت أن في قوله أقوال العلماء تدليسا فان فيها من أقوال الصحابة فتأمل :

قال الهندي « وأيضاً ان الشيخ ما طالع التفاسير كلها وكتب الاحاديث كلها والالم ينكر التوسل المسمون لسر المخزون»: أقول انالم ننكر التوسل الوارد في السنة بل نقتصر على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك وفي جميع ماصح عنهم فنتوسل الى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبالأعمال الصالحة التي لنا وبخيارنا الصالحين من الاحياء بطلب الدعاء منهم والتأمين على أديانهم كما نفعل في الاستسقاء وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف كما سيأتي تفصيل ذلك من أنب لا دليل على جواز التوسل بالانبياء والصالحين بعد مماتهم وما ذكره المجوزون من الاحاديث اما ان يكون ضعيفا لا يصلح الاستدلال أو أنه دليل عليهم لا لهم كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما واما قول الهندي السر المخزون ومثله في آخر الرسالة فلم تصل اليه افهامنا القاصرة ولا رأيناها في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وكأنه مما يدرك بالذوق ولا تنفي بحقه العبارات كما قال الشاعر

يلوذون عند العجز بالذوق ليهتم يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد
نقول لهم ما الذوق قالوا مثاله عزيز فلا بالشم يدرك والحد
فمشرهم بالكشف والذوق مشعر بأنهم عن مطلب الحق في بعد
ومن يطلب الانصاف يدلي بحجة ويرجع احيانا ويهدي ويستهدي
نعم ذكر بعضهم ان عباد القبور والانفس المفارقة يرون ان تعلق
قلب الزائر وروحه بروح المزور سبب لنيل مقصوده وتحصيل نصيب
مما فيض على روح ذلك المزور كما ذكره الفارابي وغيره من عباد الكواكب
والانفس المفارقة قال في اغائة الهفان ومنهم من يعبد أصناما اتخذوها

على صورة الكواكب وروحانياتها بزعيمهم وبنوا لها هيما كل ومتعبداً لكل
كوكب منها هيكل يخصه وضم يخصه وعبادة تخصه ومتى أردت الوقوف
على هذا فانظر في كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوب الى ابن
خطيب المري تعرف سر عبادة الاصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها وكل
هؤلاء مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا تستمر لهم طريقة الا بشخص
خاص على شكل خاص ينظرون اليه ويعكفون عليه ومن ههنا اتخذ
أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورتها فوضع الضم
انما كان في الاصل على شكل معبود غائب فجعل الضم على شكله وهيته
وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه والا فمن المعلوم ان عقلا لا يبت
خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد انه الهه ومعبوده اه فمن أمعن النظر في ذلك
فهم في الجملة ذلك السر المخزون المضمنون به على غير أهله

قال الهندي بعد تقسيمه الحديث الى مرفوع وموقوف ومقطوع
« والحديث المرفوع حجة على الاطلاق دون الباقي » : أقول هذا أكبر
دليل على جهل هذا الرجل وأنه من القصاصين الذين يتكلمون بكلمات
العلماء فلا يخفى على من نظر في مصطلح الحديث بأن حكم الحديث المرفوع
يختلف باعتبار المتن والاسناد فينقسم الى صحيح وحسن وضعيف كما أنه
ينقسم باعتبار الاسناد الى متصل ومرسل ومنقطع ومعضل ومعلق فليس
كل مرفوع حجة ومقبولاً الا ما قبله الاثمة بعد البحث عن أحوال روايته
نعم قد اتفق المحدثون على أن جميع ما في الصحيحين من المتصل المرفوع
صحيح بالقطع فتأمل .

قال الهندي « وأيضا ثبت عند أهل العلم والدين أن الاثبات

بالذكر لا يدل على نفي غيره والشيخ ماجاء في دليله ومكتوبه الا بالقول المحض خاليا عن الادلة الشرعية : « أقول هذه العبارة ركيكة لا يكاد يفهم معناها ولكن نحن نترجمها فمقصوده أن اثبات أمر لا يدل على نفي غيره أي أنه لا يقبل ما اثبتناه في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم عن ربه عن ائمة التفسير والحديث من الصحابة والتابعين والحفاظ المسندين ولا يعتبر اثبات ذلك نافيا لما ظفر به من الحديث المرفوع في تفسير تلك الكلمات بتوسل آدم بحق محمد صلوات الله وسلامه عليهما وقد فاته ان الاثبات اذا كان على وجه الحصر يدل على نفي غيره وكذا اذا قامت قرينة عليه وقد قررنا ان ترك ائمة التفسير الذين عليهم المعول فيه يشعر بعدم اعتبار ذلك الحديث طعنا فيه وهذا الرجل نفسه قرر في اول كلامه ان تركنا لذلك الحديث المرفوع انكار له وتعجب منه كما سمعته كل ذلك من قرينة المقام فشن علينا الغارة واقام القيامة وقال مثل هذا لا يعمل احد من علماء الدين غير هذا الشيخ فتأمل :

قال الهندي : « لعل الشيخ يكون في وقت الكتابة في شغل البيع والشراء ناسيا عن قواعد العلماء يا ايها الشيخ اللبيب علم التجارة لا يحصل به علم الدين ولو بلغت سن اليقين فاستحيوا من الله العظيم لا تستحيوا من الناس » :

أقول لا يستحيل اجتماع العلم مع التجارة كما تقدم بانه في صدر هذه العجالة وكما هو موجود في الناس بكثرة ولله الحمد ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا وأبجح الكفر والافلاس بالرجل وما أحسن الحياء من الله نسئله التوفيق سبحانه وما أحسن هذه النصيحة

لو عمل بها الناصح فخير له ان لو استحي من الله واشتغل بالتعلم بدلا من التعليم والارشاد على جهل فلو جاء عندنا مع اشتغالنا بالتجارة لعلمناه اللسان العربي واصلحنا عقيدته وعلّمناه علم الدين

قال الهندي « ان شاء الله تعالى انا ابين هذه المسئلة يعني مسئلة التوسل بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة بتوفيق الملك العلام صاحب الجود والانعام » :

أقول ستعلم مناقبة تلك البراهين والحجج وما وقتت من جهله في الحجج فدع عنك الكتابة است منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الهندي: « والعجب ان الشيخ من اي لفظ مجاهد وفتادة وغيرهما رحمهم الله فهم الحصر وما يدري ان القاعدة تقررت عند الاصوليين ان الاثبات بالذكر لا يدل على نفي الغير صدق من قال شعر

من مذهبي حب الديار لاهلها وللناس فيما يمشقون مذاهب

اقول هذا مكرر مع ما قبله كما تقدم مع الجواب عليه وكأنه يترنم بهذا البرهان القاطع اعجابا به فتأق في ايراده ولكن في غير محله مع احتياجه الى ترجمان يحمله ثم استشهد عليه ببيت لا يلائمه معجبا بنفسه فسبحان مانح العقول وفاضح الجهول

قال الهندي: « لعله ما نظر في مدة حياته الى الآن الى تفسير

المدارك ولا الى تفسير البيضاوي وتفسير عزيزي وغيره)

أقول نظرنا في تفسير المدارك للنسفي وفي تفسير البيضاوي فلم نجد فيها ذلك الحديث المرفوع واما تفسير العزيزي فهو بالفارسي وغير كامل وقد وقفنا على غير هذه التفسير المتداولة بين الناس بما لم تحظ به المطابع

فنبهنا سبحانه العلم النافع ونحمده على توفيقه والهداية الى اعتقاد السلف
الصالح :

قال الهندي: «ها انا قول فاستمع بالسمع الشهير خالياً عن التعصب
متمسكاً بالقول السيد ان التوسل بالانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء
العظام ثابت بدلائل شتى»: أقول اعلم أن مبنى العبادة على الامر والاتباع
لا على الهوى والابتداع والتوسل الذي جاءت به السنة وتواتر في الاحاديث
هو التوسل والتوجه الى الله بالاسماء والصفات وبالاعمال الصالحات
كالادعية الواردة في السنة كقولهم اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا
انت وكالتوسل بدعاء الانبياء وشفاعتهم في حياتهم كتوسل الصحابة بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء وتوسلهم بالعباس وبزيد ابن الاسود
وتوسل الاعمى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته له وكما ثبت في
الصحيحين من قصة الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة
فتوسلوا الى الله بصالح اعمالهم فهذا لا نزاع فيه بل هو من الامور المشروعة
وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة) وأما التوسل بدوات المخلوقين فلا دليل عليه ولا قاله
احد من الصحابة والتابعين ولم ينقل عن السلف الا ما يناقض ذلك وقد
نص غير واحد من العلماء على ان هذا لا يجوز ونقل عن بعضهم الجواز
فذكر الحنابلة في باب الاستسقاء انه يباح التوسل بالانبياء والصالحين ونقل
عنهم الكراهة وروي عن الامام احمد جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم
وروي عن الامام مالك الكراهة كما أفاده الشيخ زروق في قواعد التصوف
وقال العز ابن عبد السلام لا يجوز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر الحنفية في متونهم في باب الحظر والاباحة ان قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والاولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وهي كالحرمان في العقوبة بالنار عند محمد وقد عللوا ذلك بقولهم لانه لاحق للمخلوق على الخالق قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكري وما زلت أبحث وأكشف ما امكنتني من كلام السلف والأئمة والعلماء هل يجوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء او فعل ذلك احد منهم فما وجدته ثم وقفت على فتيا للفقهاء ابي محمد ابن عبد السلام أفق بانه لا يجوز بغير النبي صلى الله عليه وسلم واما النبي فجوز التوسل به ان صح الحديث في ذلك وذكر القدوري في شرح الكرخي عن ابي حنيفة وابي يوسف لا يجوز ان يسأل الا به انتهى كلامه وذكر ابن القيم رحمه الله عن ابي الحسين القدوري نحو ذلك فقال قال القدوري قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان يقال بمعاقد العز من عرشك او يقول بحق خلقك وهو قول ابي يوسف قال ابو يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا اكره ذلك واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام قال القدوري المسئلة بحقه لا يجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق فلا يجوز يعني وفاقا وقال البلدي في شرح المختاره ويكره ان يدعو الله الا به فلا يقول اسئلك بفلان او بملائكتك او انبيائك او نحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به والدعاء الماذون فيه الامور به ما استفيد من قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) اه

قال الألويسي وانت تعلم ان الادعية المأثورة عن أهل البيت العظماء وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله تعالى عليه وسلم ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف اي بدعاء او شفاعة نبيك كما سمعت او نحو ذلك كما ستسمع ان شاء الله تعالى ومن ادعى النص فعليه البيان اه وجنح الشوكاني الى رأي المجوزين قائلاً ان التوسل الى الله باهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلاً الا بأعماله فاذا قال القائل اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم اه وليته اقتصر على النص كما هي عادته رضي الله عنه فان المقام خطر جداً فيكم تولد من ذلك من البدع والخروج الى الاشرار وأما قوله انه توسل بأعمالهم الصالحة الخ ففيه نظر فان نعمها لهم كما سيأتي بيانه من أنه لا بد من سبب حاضر ظاهر بين السائل والمستول به فتأمل قال بعض فضلاء الهند بعد سياق كلام الشوكاني وأحوط الاقوال وأصح الافعال القصر على الوارد ان صح لان اكثر الخلق لا يعلمون ما يدخل في هذا من الشرك كبهف والشرك أخفى من ديب النمل كما ورد بذلك الحديث اه وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية بان التوسل بمجرد ذوات الانبياء والصالحين غير مشروع وانه سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب بخلاف من كان طالباً بالسبب المقتضي حصول المطلوب كالمطالِب منه سبحانه بدعاء الصالحين وأعمال السائل الصالحة فلا بد من سبب بين السائل وبينهم يوجب مقصوده وذلك بأمرين اما بطاعته واتباعه لهم واما بدعائهم له وشفاعتهم له فجرد سؤاله في دعائه بهم من غير طاعته واتباعه لهم ولا دعاء ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه

وان عظم جاه احدهم عند الله تعالى من المنازل والدرجات فانه امر يعود
تفعه اليهم ولزيادة ايضاح هذا المقام ننقل ما كتبه شيخ الاسلام في كتاب
الاستغاثة في الرد على ابن السبكي قال رحمه الله واما قول القائل ان
المتوسل انما هو سائل الله تعالى راج له عالم ان النفع والضرب لا شريك
له وانما توسل اليه بمن يحبه الله تعالى لشرف منزلته عنده ليكون اقرب
الى الاجابة وحصول المراد كطلب الدعاء من الرجل الصالح فيقال توسل
العبد الى الله تعالى بما يحب لفظ مجمل فان اريد بما يحب الله تعالى ان
يتوسل به اليه فهذا حق والله تعالى يحب ان يتوسل اليه بالايمان والعمل
الصالح والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم ومحبته وطاعته
وموالاته فهذه ونحوها هي من الامور التي يحب الله تعالى ان يتوسل بها
اليه وان اريد انه يتوسل اليه بما يحب ذاته وان لم يكن هناك ما يحب الله
تعالى ان يتوسل به فهذا باطل عقلا وشرعاً اما عقلاً فلانه ليس في كون الشخص
المعين محبوباً له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته اذا لم يكن مني
ولا منه سبب تقضى به حاجتي فان كان منه دعاء لي او كان مني ايمان به وطاعة
له فلا ريب ان هذه وسيلة وأما نفس ذاته المحبوبة لله تعالى فاي وسيلة
لي فيها اذا لم يحصل لي السبب الذي امرت به فيها ولهذا - لو توسل
به من كفر به لم ينفعه والمؤمن به ينفعه الايمان به وهو اعظم الوسائل
قتنين ان الوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل الايمان بالرسول وطاعتهم
وقول القائل للرجل ادع لي توسل بدعاء الصالحين وهو من جملة الاسباب
النافعة كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأما المشروع فيقال ان العبادات
مبناها الاتباع لا الابتداع وليس لاحد ان يشرع من الدين ما لم يأذن

الله به الا ترى انه ليس لاحد ان يصلي الى قبره صلى الله عليه وسلم
ويقول هو أحق بالصلاة اليه من الكعبة وقد ثبت عنه عليه الصلاة
والسلام في الصحيح انه قال لا تجسوا على القبور ولا تصلوا اليها ومن
لم يعتصم بالكتاب - والسنة ضل وأضل وليس في قوة كل أحد ان
يفهم أسرار العبادات ومنافعها ومضار ما ينهى عنه من ذلك فعليه ان
يسلم للشريعة ويعلم انها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المناسك
وتقليلها واذا رأى من العبادات التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع
علم ان ذلك لضرر فيها راجح على نفعها ومفسدة راجحة على مصلحتها اذ
الشارع حكيم لا يهمل المصالح فان قال انا اذا توسلت بذاته انما بعلمي
المعلق به وذلك انه لحي له وتعظيمي اياه توسلت به وهذا مما
يجبه الله تعالى مني قيل حبك وتعظيمك له الذي هو من الايمان به
وهو يدعوك الى زيادة الايمان به وطاعته وهو الذي يجبه الله تعالى منك
وأما حبك وتعظيمك الذي لا تقصد به الا قضاء حاجتك الدنيوية فهذا
لا يجبه الله تعالى منك فاذا كان الداعي لم يؤمن به ولم يطعه بل سأل الله
تعالى به وتوسل به وأحبه وعظمه ليقضي حاجته بالتوسل به لم يكن ذلك
مما يجبه الله عز وجل بالضرورة ولم يأمر الله تعالى بذلك بل لم يأمر الله
تعالى الا بالايمان به والطاعة وهذا اذا حصل كان أعظم الوسائل للعبد عند
الله عز وجل وان لم يحصل فلا وسيلة للعبد عند الله تعالى اه - وقال رحمه
الله في بعض فتاويه وهذا « أي ما قصده النبي صلى الله عليه وآله من حسم
مادة الشرك وتحقيق التوحيد واخلاص الدين لله رب العالمين » ما يظهر
به الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والرجل الصالح في حياته وبين

سؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك انه في حياته لا يعبده أحد بحضوره فاذا كان الانبياء صلوات الله عليهم والصالحون أحياء لا يتركون أحدا يشرك بهم بحضورهم بل يهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام (ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنتم أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال « أجعلتني لله ندا ما شاء الله وحده» وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ولما قالت الجويرية (وفينا رسول الله يعلم ما في غد) قال دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين وقال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله « ولما صفوا خلفه قياماً قال لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا وقال أنس لم يكن شيء أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كرامته لذلك ولما سجد له معاذنهاه وقال انه لا يصلح السجود الا لله ولو كنت أمرا أحدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عاينها ولما أتني علي بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الآطية أمرت بتحريقهم بالنار فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه وانما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الارض وفسادا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلال الذين غرضهم الغلو في الارض والفساد والفتنة بالانبياء والصالحين واتخاذهم أربابا والاشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما أشرك بالمسيح وعزير فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والصالح في حياته وحضوره وبين سؤاله في مماته

ومغيبه ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك المكوف اه فظهر لك مما قررناه وما نقلناه ان المشروع في التوسل بالانبياء والصالحين انما هو في حياتهم بدعائهم كما نقول للرجل الصالح ادع الله لنا وكما حصل في استسقاء الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ثم من بعده بعمه العباس ثم بالخيار من الناس في كل زمان ومكان الى يومنا هذا واما الميت فلا يطلب منه دعاء ولا غيره ولا يتوسل به في دعاء ولا غيره وستسمع الجواب عن تلك الدلائل الشتى التي ذكرها الهندي دايملا ولو سلم ان هناك دليل يشم من رائحة التوسل بذات المخلوقين فلا يصار اليه ولا يقاس عليه ويحاج عنه بأنه علي حذف مضاف أو أنه مؤول أو يؤتى به كما ورد ويكون من المتشابه فان السنة كالقرآن فيها المتشابه والمحكم فيرد متشابهها الى المحكم فكلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناقض ولا يضرب بعضه بعضا ويوافق القرآن ولا يناقضه وهذا أصل عظيم يجب مراعاته ومن أهمله وقع في أمر عظيم وهو لا يدري فقهننا الله وإياكم في الدين وجعلنا من عباده المخلصين ممن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال ويميز القائل بالمقال لا المقال بالقائل

(قال الهندي الاول بالقرآن المجيد والفرقان الحميد فانظر الى

تفسير الدر المنثور للعلامة جلال الدين السيوطي : « ثم ذكر ذلك الحديث المرفوع :

أقول ثبت الجدار ثم انقش واعرف الحديث وما قبل فيه وفي حال

راويه فليس كل صر فوع حجة كما انه ليس كل مستدير رغيفا فلو كان ذلك الحديث صحيحا لقدمه جميع المفسرين على جميع الاقوال في تفسير تلك الكلمات ولو كانت للصحابة ولم يهمل ذكره ائمة التفسير المعول عليهم ولكنهم رأوه من الاسرائيليات واجمعوا على ضعف راويه فتركوه ورموه ظهريا فان الحديث الصحيح عندهم هو ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة وعلى فرض صحته فهو خبر آحاد لا يفيد اليقين بل يفيد الظن عند من صح عنده ولا تقوم به حجة على من قامت عنده الادلة على عدم صحته ثم الحافظ السيوطي لم يلتزم الصحة في تفسيره الدر المنثور وقد اشتهر بالاكثار وقلما سلم مهذار حتى قال فيه بعضهم انه كحاطب ليل ربما كانت الالف في حطبه وقد انتقده الحافظ السخاوي في الضوء اللامع وذلك لا ينقص من جلالة قدره وفضائله الجملة فالسعيد من عدت سيئاته وحفظت غلطاته

ومن ذا الذي ترضى سبحانه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه وكيف احتج هذا الهندي بهذه الآية التي تحمل جملة وجوه في تفسيرها كما ذكرها الجلال السيوطي اما يعلم ان الدليل اذا طرقة الاحتمال سقط به الاستدلال فمن اي لفظ من الفاظ ذلك الحديث فهم الحصر في تفسير تلك الكلمات بها بانه لا يجوز تفسيرها الآية حتى يجعلها دليلا قاطعا لا احتمال فيه . نقول له ذلك كما قال لنا : من اي لفظ قتادة ومجاهد فهم الحصر « :

قال الهندي : « قال (اي السيوطي) في تفسير الكلمات قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اذنب آدم الذنب الذي اذنبه رفع

رأسه فقال اسمك بحق محمد ان غفرت لي فاوحى الله اليه ومن محمد فقال
 تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله
 الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد أعظم قدرا بمن جعلت اسمه
 مع اسمك فاوحى الله اليه يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك لولاه ما خلقتك
 - هذا حديث حدثه من المحدثين - الطبراني - والحاكم - وابو نعيم - والبيهقي :-
 اقول الذي في الدر المنثور خمس الخماس ابن عساكر يرويه جميعهم عن
 عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده عن عمر بن الخطاب يرفعه وليس
 عندي من كتب هؤلاء الحفاظ الا معجم الطبراني الصغير واسناده فيه هكذا
 عن محمد بن داود بن اسلم الصديقي المصري عن احمد بن سعيد المدني القهري
 عن عبد الله بن اسماعيل المدني عن الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده
 عن عمر بن الخطاب وبعد سياق المتن قال لا يروى عن عمر الا بهذا الاسناد
 تفرد به احمد بن سعيد اه قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن اه وقال
 بعضهم صححه الحاكم اه وفي تصحيحه نظر فليس كل ما صححه مقبولا قال
 المدراسي في كشف الاحوال في نقد الرجال ان عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
 ضعيف باتفاق وكذا في تقريب التهذيب قال العلامة احمد بن ناصر التيمي
 في جوابه على رسالة الفاضل اليمني محمد بن احمد الحفطي سنة ١٢١٧ مانصه
 واما قول القائل فقد اخرج الحاكم في مستدركه وصححه ان آدم توسل بالنبي
 صلى الله عليه وسلم فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال احمد
 ابن حنبل ضعيف وقال ابن معين ليس حديثه بشيء وضعفه ابن المديني جدا
 وقال ابو داود اولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال النسائي ضعيف وقال
 ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل مالك حديثا

فقال من حدثك فذكر اسنادا له منقطعا فقال اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن ابيه عن نوح عليه السلام وقال ابو زرعة ضعيف وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث، واهيا وقال ابن حبان كان يقب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك وقال ابن سعد كان كثير الحديث ضعيفا جدا وقال ابن خزيمة ليس هو مما يحتاج اهل العلم بحديثه وقال الحكم وابو نعيم روى عن ابيه احاديث موضوعة وقال ابن الجوزي اجمعوا على ضعفه . فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد وهو كما تسمع وقال الشيخ تقي الدين في رده على ابن البكري واما قول القائل قد توسل به الانبياء آدم وادريس ونوح وايوب كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها فيقال مثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها باجماع المسلمين فان الناس لهم في شرع من قبلنا قولان احدهما انه ليس بحجة الثاني انه حجة مالم يأت شرعا بخلافه بشرطان يثبت ذلك بنقل معلوم كاخبار النبي صلى الله عليه وسلم فاما الاعتماد على نقل اهل الكتاب او نقل من نقل عنهم فلا يجوز باتفاق المسلمين لان في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الانبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا لها اسناد معروف عن احد من الصحابة وانما تذكر مرسله كما تذكر الاسرائيليات التي تروى عن لا يعرف وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضوع علي ما نقل في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمنا عليه وبيننا بطلانه ولو نقل ذلك عن كتب

ووهب ومالك بن دينار ونحوهم ممن ينقل عن أهل الكتاب لم يجزأن
يحتج به لان الواحد من هؤلاء وان كان ثقة فغاية ما عنده من كتاب من
كتب أهل الكتاب او يسمعه من بعضهم فانه بينه وبين الانبياء دهر طويل
والمرسى عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يعرف علمه وصدقه لا
يقبل با اتفاق المسلمين ومراسيل أهل زماننا عن نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تقبل عند العلماء مع كون ديننا محنوظا محروسا فكيف بما يرسل عن آدم
وإدريس ونوح وأيوب عليهم السلام والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء
وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شيء من هذا وقد نقل ابو نعيم في الحلية
ان داود عليهم السلام قال يارب اسألك بحق آبائي عليك ابراهيم واسحاق
ويعقوب فقال «يا داود أي حق لا بآبائك علي» فان كانت الاسرائيليات حجة
فهذا يدل على أنه لا يسأل بحق الانبياء وان لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج
بتلك الاسرائيليات انتهى فبين رحمه الله أنه لم يصح في هذا شيء عن النبي
صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما روي في ذلك باطل لا أصل له اهـ

وأما ما رواه ابن حميد الرازي من الحكاية المنسوبة الى مالك رحمه الله
مع أبي جعفر المنصور وفيها أنه سأل مالك فقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة
وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله
واستشفع به فقد رد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا ان
إسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يتهم بالكذب وقالوا ابن حميد كثير
المناكير ولم يسمع من مالك شيئا بل روايته عنه منقطعة ومحمد بن حميد
الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الأئمة ونسبه بعضهم الى الكذب

فقال يعقوب بن شيبه السندوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير وقال حديثه فيه نظر وقال النسائي ليس بثقة وقال الجوزجاني رديء المذهب غير ثقة وقال الرازي عندي عنه خمسون الف حديث لا أحدث عنه بحرف وقال ابن الازهري سمعت اسحاق بن منصور يقول أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن اسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذبان وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ اهـ

قال الهندي « بهذا علم أن التوسل بالانبياء محبوب عند الله يجاب به الدعاء هو شيء علمه الله تعالى لا دم عليه الصلاة والسلام »
أقول بما قدمناه علم أن ما ذكره لا يحصل به العلم بهذه النتيجة ولو كان التوسل محبوبا عند الله لكان محبوبا عند رسوله وأصحابه والتابعين وتابعيهم ولكثري كلامهم وكان شائعا في تلك القرون الفاضلة وتوفرت الدواعي على نقله واستفاض استفاضته لم يحتاج معها الى ايراد حديث معلول شاذ أو ما في معناه احتمال وقد سمعت نصوص الحنفية في المنع من اطلاق لفظة بحق أنبيائك وأما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الخارج الى الصلاة « أسألك بحق السائلين وبحق ممشاي الخ فرواه عطية العوفي وفيه وهن قال الحافظ ابن حجر ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح وعلى تقدير ثبوته فهو من باب التوسل باسماء الله وصفاته فان حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم وحق الانبياء أن يقربهم ويفضل بما يخصهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به وذلك من أفعال الله فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه كما قال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وكما في حديث

معاذ «حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ان لا يعذبهم» ولا يصلح أن يجعل مافى هذا الحديث من باب التوسل بالاعمال الا قوله واسألك بحق ممشاي لان المشى الى الطاعة امثالاً لا من عمل طاعة وهو سبب في حق السائل

(قال الهندي وهذا التوسل والاستمداد من آدم كان قبل ولادة نبينا صلى الله عليه وسلم الوف سنين كيف لا يجوز بعد الولادة وبعد ارتحاله عليه الصلاة السلام من دار الدنيا الى دار البقاء ورد في الحديث الصحيح «الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم» : أقول انظر الى هذه النتائج المترتبة بمضها على بعض استنباطا من ذلك الحديث المرفوع فله دره ما اقدره على ايراد هذه الحجج الساطعة والبراهين القاطعة وكيف سوى بين حاله صلى الله عليه وسلم في الدنيا وحاله بعد انتقاله عنها بحديث «الانبياء احياء يصلون في قبورهم» فهل يقول انها متساويان في كل شيء اظنه لا يقول ذلك لما يترتب عليه من الاحكام الكثيرة كما لا يخفى على من له ادنى بصيرة فان حياة الانبياء في قبورهم برزخية فوق حياة الشهداء لا تقتضي لوازم الحياة الدنيوية من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك وتلك الصلاة ليست بحكم التكليف بل بحكم الاكرام لهم والتشريف من قبيل الاحوال البرزخية كسؤال الملكين ونعيم الميت وعذابه مما لا يرى وان كان الميت صرياً فأحوال البرزخ لا تقاس على أحوال الدنيا واما كونه صلى الله عليه وسلم مر ليلة المعراج على موسى فراه صلى فذاك أمر خارق للعادة وقد تقدم بعض الكلام على حياة الانبياء في المقدمة من ما قاله الامام صنع الله الحياي الحنفي وقد كثر البحث فيها عند بعض المتأخرين وهم في غنية عنه

فانهم يشبتون التصرف للاولياء بعد مماتهم معتقدين انهم أقوى حالا مما كانوا في حياتهم اصفاء ارواحهم وتخلصها من كثافة اجسامهم
لقد اسمعت لو ناديت حيا وليكن لا حياة لمن تنادي

وحيث قد ظهر الفرق للمؤمن المتشرع بين حياته صلى الله عليه وسلم والديونية وحياته البرزخية فانه يمنع من الطلب منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره ممن كان في البرزخ لانه عبادة لا تليق لمن اتصف بالعبودية ولا يتوسل به صلى الله عليه وسلم ولا بغيره اقتداء به وبصحابته من بعده بل يتوسل بالايمان به وبمحبهه ومتابعتهم ثم انظر الى قول الهندي (والاستمداد) اي طلب المدد واكثر ما يستعمل هذا اللفظ في جانب المشايخ المعظمين فيقال استمداد منهم ويقال (مدد ياشيخ) وأظنه لم يسر الى الناس الا من الهند فانهم يقولون للمعاون لرجل من رجال الحكومة (مدد كار) فيخرج هذا وأمثاله من التوسل الى الاستمداد ومن الاستغاثة بالغير الى الاستغاثة من الغير وبالجملة فانهم يطلبون من غير الله من الأموات ويسمون ذلك الطلب توسلا واستغاثة وكلامنا الآن في التوسل بالانبياء والصالحين الى الله بتوجيه الطلب منه سبحانه وتعالى

وقال الهندي: والثاني اخرج الترمذي بسند صحيح ان عثمان بن حنيف قال ان رجلا أعمى جاء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ذهاب بصره قال ادع الله لي ان يعطيني البصارة قال النبي صلى الله عليه وسلم لو شئت ادع الله ولو شئت فاصبر والصبر خير لك قال الرجل يا رسول الله ادع الله قال النبي صلى الله عليه وسلم توضحاً وأحسن الوضوء ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي (م - ٥ فصل المقال)

في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه في» ورد في الحديث انه لما مسح يديه على وجهه صار أبصر من الاول

أقول الذي في سنن الترمذي مانصه حدثنا محمود بن غيلان نا عثمان ابن عمر نا شعبة عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فامرته ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث ابي جعفر وهو غير الخطي اه وفي نسخة أخرى اني توجهت به الى ربي وقد رواه النسائي في اليوم والليلة والبيهقي وابن شاهين في دلائلهم كلهم عن عثمان بن حنيف وساقوه بقريب من سياق الترمذي وليست فيه لفظة يا محمد وقد ساقه الهندي بما سمعت من التحريف والكذب شأن القصاصين وقد سبقت الاشارة الى الجواب عنه بانه من باب التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما في الاستسقاء فان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد على حذف مضاف اي بدعائه وشفاعته كما يقتضيه السياق قال العلامة المناوي سأل الله اولا أن يأذن لنيه ان يشفع ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم ملتصقا بشفاعته له ثم كر مقبلا على ربه ان يقبل شفاعته اه قال في اقتضاء الصراط المستقيم فلم ان ذلك التوسل الذي ذكره هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب

منه شيء، لا دعاء ولا غيره، وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ليرد عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه ان يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه فهذا يدل على ان النبي شفيع فيه وأمره ان يسأل الله قبول شفاعته وان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد ثم قال يا محمد يا رسول الله اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضيها اللهم فشفعه في فطلب من الله ان يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد يا نبي الله هذا وأمثاله نداء ويطلب به استحضر المنادي فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب انتهى

وأما ما روي من ان عثمان بن حنيف راوي هذا الحديث علم هذا الدعاء لمن كان له حاجة عند عثمان زمن امارته بعده صلى الله عليه وسلم وعسر عليه قضاؤها وفعله فقضاها فذلك رأي من عثمان بن حنيف قصدا للتبرك بالقاض النبي صلى الله عليه وسلم من غير قصد استغاثة في الشفاعة ان صححت تلك الرواية فان في سندها مقالا بل قال بعضهم ان امارات الوضع لاثحة عليها وقد علمت ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به ولو رواه العدل الضابط عن مثله . ومن احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة وعمل الصحابة ومن بعدهم مع انه ليس فيه دعاء بل هو توسل بنداء الحاضر والدعاء أخص من النداء فليس كل نداء دعاء اذ الدعاء نداء عبادة متضمن للسؤال والطلب

من المنادي لجلب نفع أو دفع ضرر ولو بقرينه المقام كأن يقول من أشرف على هلاك كالفرق مثلاً يا الله فهذا دعاء المضطر . فكيف يدعو المضطر غير الله فيقول يا فلان في ذلك المقام والله يقول (أم من يجيب المضطر اذا دعاه) وكيف يحتج العالم بذلك الحديث على جوازه وقد سمعت ما قررناه وكيف يكابر بأن هذا القائل لا يعتقد النفع والضرر فيمن ناداه وهو يعتقد بانه يسمع صوته ولو كان في الشرق والمنادي بالغرب وانه يعلم ما نزل به من الشدة وما حل به من الكربة أفلا يكون نافعاً لمن يعتقد فيه انه يعلم علم الغيب (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ونبينا مع كونه سيد ولد آدم وحيا في قبره لا يعلم الغيب وهو لا يعلم الغيب في الدنيا فكيف بعد وفاته كما هو مبسوط في كتب الفقه فكيف يقول هذا العالم ان ذلك مجاز اسنادي وان قرينته الاسلام وهو لا يمكنه انكار ما سبق ثم يقرأ كل يوم في المكتب الفقهية ويقرر في باب الردة الفاظا بكفر الناطق بها بمجرد التلفظ بها من غير اعتبار المجاز وتلك القرينة التي صارت له قرينة فهو اما جاهل أو متجاهل بما صرف ذلك القائل يا فلان من العبادات الخاصة به تعالى الى غيره والحال ما ذكر فوانته ان العامي الذي ليدرك ذلك بفطرته السليمة لو رجع اليها وخلي بينه وبينها فقد حكى ان شاميا من العوام كان في سفينة لعبت بها الامواج واشرفت على الفرق فقام الناس يصيحون وينادون من أعماق قلوبهم يارفاعي يا جيلاني يا بدوي فرفع ذلك الشامي طرفه الى السماء وقال (ياسيدي غرق غرق الناس نسيوك ياسيدي غرق غرق الناس ما يعبر فوك) وقد قص الله عن كفار قريش بأنهم اذا كانوا في الفلك وهاج عليهم البحر دعوا الله مخلصين واذا نجاهم الى البر أشركوا

على عكس القصة السابقة قال شيخ الاسلام ابن تيمية من جوز ان يطلب من المخلوق كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد فكفره شر من كفر عباد الاصنام فانهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله كما قال (قل أرايتكم ان اتاكم عذب الله أو اتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين * بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) فبين سبحانه انه اذا جاء عذاب الله أو اتت الساعة لا يطلبون الا الله في كشف الشدائد وجلب الفوائد وقال (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) قال وقد وقع في كثير من ذلك ما وقع من العامة وغيرهم اه

بقي هنا حديث آخر غير حديث الاعمي يحتاج به المغررون للجهال على جواز دعاء الميت والغائب وهو الوارد في اذكار السفر «اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان الله حاضر اسيحبه» فيجاب عنه بانه حديث ضعيف وذكر بعض العلماء انه حديث منكر فانه من رواية معروف بن حسان وهو منكر الحديث كما قاله ابن عدي ومع ذلك فهو لا يدل على دعاء الميت والغائب لانه قال فيه ان لله حاضرا سيحبه فالمنادي حاضر حي وكله الله بهذا الامر وهو من عباده الذين لا نعلمهم وما يعلم جنود ربك الا هو وكل عاقل يتيقن انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بمناجات من لا يسمع ولا يعين من ناداه فلا يعارض هذا الحديث الكتاب والسنة المانعين من صرف الدعاء لغيره تعالى ولا يعرف عن أحد من أهل العلم والايمان الذين لهم لسان صدق في الامة ولم تأت به شريعة من الشرائع بل المنقول عن جميع الانبياء ما يرده ويبطله كما في الكتاب العزيز قال العلامة ابن القيم رحمه الله ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوائج

من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن استغاث به أو سأله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده اه وقد أطلقنا الكلام في هذا المقام لان هذا الهندي واضرا به يسمون ذلك توسلا وينصبون أنفسهم للدفاع عنه تمحلا عما لهم الله بمسد له كما جنوا على التوحيد واهله اه

(قال الهندي والثالث روى الدارمي عن أبي الجوزاء قال فحط أهل المدينة فحطاً شديداً فشكروا الى عائشة رضي الله عنها فقالت فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فطروا حتى نبت العشب وسمن الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)

أقول نعم ذكره الدارمي في باب ما أكرم الله نبيه بعد موته . قال في مجمع البحار كوى الى السماء اي منافذ جمع كوة بفتح كاف وضمها قيل سببه ان السماء لما رأت قبره بكت وسال الوادي من بكائها لقوله تعالى (فابكت عليهم السماء) وقيل استشفاع بقبره صلى الله عليه وسلم اه فهذا من مشكل الآثار المتشابهة التي لا يحتج بها فان الاستسقاء المأثور جار بالمدينة المنورة من عهد صلى الله عليه وسلم الى هذا العهد مع ان عائشة كانت في الحجرة ويدخل اليها من الباب وبعد ذلك بني الحائط الآخر ولم يذهب احد من الصحابة الى القبر النبوي يستسقي عنده ولا به ولو كان لتقل واستفاض ولم يحتج الى حديث واحد فيه ما فيه . وقد روى خالد بن دينار عن أبي العالية كما ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير

عن ابي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا ابو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا له كهبا ففسخه بالعربية فانا اول رجل من العرب قرأه قرأة مثل ما أقرأ القرآن قال خالد فقلت لابي العالية ما كان فيه قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كأئن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بانهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه ساوينا القبور كلها مع الارض لئلا يمشون به فقلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له (دانيال) فقلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثلاثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعرات من قفاه ان لحوم الانبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع فلو كان الاستسقاء بقبور الانبياء ثم بمن يليهم جائزاً او فضيلة لنصب عليه علماء أولئك المهاجرون والانصار ولم يعموا قبره لئلا يفتن الناس به لما اعلموا من استسقاؤهم به والكنهم كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلائف التي خلفت بعدهم فما زالت الصحابة تسد الذرائع كما في هذه القصة وكما فعل عمر رضي الله عنه من قطع الشجرة التي بويج تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك التابعون لهم باحسان درجوا على أسبيلهم فقد كان عندهم من قبور الصحابة عدد كثير في الامصار فما منهم من استغاث بها ولا دعا عندها ولا استسقى بها ولا استنصر ولو كان لتوفرت الدواعي على نقله وبعد كتابتي لما تقدم رأيت في تمة منهاج التأسيس للعلامة المحمود شكري الالوسي ما نصه بعد ذكر عائشة رضي الله عنها والجواب

ان يقال لا دليل في هذه الحكاية على ما قصده العراقي من جواز نداء غير الله تعالى لانه لا نداء فيها بل فيهم ان الله رحم أهل الارض لما كشفت عن مرقدہ صلى الله عليه وسلم بحيث يصله القطر من المطر كما ان من خواص اجسام الانبياء جميعا اذا كشفت نزول المطر عليها ولا يقتضي مثل ذلك نداءهم ودعائهم في الشدائد وكذلك من خواصها عدم أكل الارض إياها ولا يقتضي ايضا دعاءها ولو جاز استدسقاؤه صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة لما عدل عمر الى العباس كما سبق قريبا هذا كله لو سلمنا صحة مثل هذه الحكاية واذا لم تصح فالمنع أظهر والجواب احق اه ثم رأيت في اقتضاء الصراط المستقيم ما نصه . واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجذبوا امرأت ودهتهم نوائب غير ذلك فهل جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به ولم يستسق عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لينزل المطر فانه رحمة تنزل على قبره ولم تستسق عنده ولا استغاثت هناك وهذا لما بنيت حجرتة على عهد التابعين بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم تركوا في اعلاها كوة الى السماء وهي الى الآن باقية فيها موضوع عليها شمع على اطرافه حجارة تمسكه وكان السقف بارزا الى السماء وبني ذلك لما احترق المسجد والمنبر سنة بضع وخمسين وستمائة وظهرت النار بأرض الحجاز التي اضاءت لها اعناق الابل ببصرى وجرت بعدها فتنة الترك ببغداد وغيرها ثم عمر المسجد والسقف كما كان وأحدث حول الحجرة الحائط الخشب ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت العتبة على السقف وأنكره من كرهه علي انا قدر ويناني مغازي

محمد بن اسحاق من زيادات يونس بن بكير عن ابي خلدة خالد بن دينار
ثم ساق القصة السابقة فتأمل قال المراني وفتح الكوة عند الجذب سنة
اهل المدينة يفتحون كوة في اسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين
القبر الشريف والسماة قال السهمودي وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه
الشريف اه اي والكوة مسدودة

(قال الهندي: «والرابع روى البيهقي وابن ابي شيبه بسند صحيح عن مالك
الدار وكان خازن عمر قال اصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
استسقى لامتك فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انت عمر فاقرئه السلام فاخبره فانهم يسقون وقل عليك الكيس الكيس فاتي
الرجل عمر رضي الله عنه فاخبره فبكى عمر وقل يا رب ما آلا الامة اجزت عنه»:
اقول في هذه الرؤيا المنامية حجة على هذا الرجل وأمثاله فانه صلى الله
عليه وسلم لم يقل أنا استسقي اكم بل امر عمر ان يستسقي بالناس ليكن قال
بعضهم ان الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث فاتي به بعض المدلسين في
الحديث بدل رجل ناسبه الى البيهقي وابن ابي شيبه ثم قال وليس الاستدلال
بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت
بها الاحكام لا يمكن اشتباه الكلام على الرائي وانما الاستدلال بفعل بلال
بن الحارث في اليقظة فانه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتيانه
لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ونداؤه وطابه ان يستسقي لامته دليل على
ان ذلك جائز: فيالله العجب كيف انفرد هذا الصحابي بعمله هذا عن
سائر الصحابة ولم لم يتواردوا على قبره صلى الله عليه وسلم ويلتجؤا اليه
(م ٦ - فصل المقال)

في جميع منازلهم من المصائب فعلى هذا البعض اثبات شبه ذلك الى بلال
ابن الحارث بالسند الصحيح . لئن صح فلنا فيه كلام اماماروي عن البيهقي
وابن أبي شيبه فهو فعل رجل مجهول كما ذكره الهندي وغيره لا يعرف اسمه
فضلا عن حاله والمدبنة في ذلك الزمان يردّها أهل الآفاق من العرب
والعجم والحاضرة والبادية وفعله مخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم
ولو كان هنا غير هذا الرجل المجهول لأورده هذا وأمثاله ممن كفوا
انفسهم الانتصار للقبورين قال شيخ الاسلام ابن تيمية واما الميت من
الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسئلكم نارباك
ولم يفعل هذا احد من الصحابة والتابعين ولا أمر به احد من الائمة ولا
ورد فيه حديث بل الذي ثبت في الصحيح أنهم لما اجذبوا زمن عمر رضي
الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا اجذبنا نتوسل اليك بنبينا
وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاستسقىنا فيسقون ولم يجيئوا الي قبر النبي صلى الله
عليه وسلم قائلين يا رسول الله ادع لنا واستسق لنا ونحن نستسقي اليك مما اصابنا
ونحو ذلك لم يفعل ذلك احد من الصحابة قط . بل هو بدعة ما انزل الله بها
من سلطان اه

وقال في اقتضاء الصراط (المستقيم) في بحث شبه المجوزين قصد القبور
للدعاء عندها من بعض المتأخرين بعد المائة الثانية مانصه : فهذه
الآثار اذا ضمت الى ما قدمناه من الآثار علم كيف كان حال السلف في
هذا الباب وان ما عليه كثير من الخلف في ذلك من المنكرات عندهم ولا
يدخل في هذا الباب ما يروي ان قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي صلى
الله عليه وسلم او قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب كان يسمع

الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك فهذا كله حق ليس مما نحن فيه
والامر اجل من ذلك واعظم وكذلك ايضاً ما يروى ان رجلاً جاء الى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الجذب عام الرمادة فرآه وهو
يامره ان يأتي عمر فيامره ان يخرج يستسقي بالناس فان هذا ليس من
هذا الباب ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم
وأعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم
او لغيره من امته حاجته فتعطي له فان هذا قد وقع كثيراً وليس مما نحن
فيه وعليك ان تعلم ان اجابة النبي صلى الله عليه وسلم اولغيره لهؤلاء
السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال فانه هو القائل صلى الله
عليه وسلم ان احدكم ليسألني المسألة واعطيه اياها فيخرج بها يتأبطها ناراً
فقالوا يارسول الله فلم تعطهم قال يا بون الان يسألوني وبأبي الله لي البخل
وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضرب
اياهم كما ان السائلين له في الحياة كانوا كذلك وفيهم من اجيب وامر بالخروج
من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل
على حسن حال السائل فلا فرق بين هذا وهذا انتهى

قال المهندي: «روى الحافظ ابو سعد السمعاني عن علي رضي الله عنه
ان أعمرأياً جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بثلاثة أيام فبكى
بكاء شديداً حتى خر ثم اخذ تربة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعله على
رأسه وقال يارسول الله أطعنا ما بلغتنا من كلام الله وحفظناه وفيه (ولو
انهم إذظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
تواباً رحيماً) وقد ظلمت نفسي وجنتك تستغفر لي فنودي من القبر انه قد غفر لك

أقول كان ينبغي عليه ان يجعل هذا دليلاً خامساً مستقلاً فأخطأ في درجة الدليل الرابع مع ما فيه من تحريف الرواية عما نقله بعضهم وقد قال الحافظ ابن عبد الهادي إن هذا خبر منكر موضوع وأرتمتاق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير اليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض ثم تكلم على بعض رجاله ثم قرر معنى الآية أحسن تقرير كما سيأتي . وهذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتيبي بلا إسناد بزيادة بيتين ويرويها بعضهم عن غيره بألفاظ مختلفة قال الحافظ المذكور وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة مما تقوم بها حجة وإسنادهما مظلم مختلف ولفظها مختلف أيضاً ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة علي المطوب ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم اه قال في اقتضاء الضوابط المستقيم بعد ذكر حكاية العتيبي واستحباب طائفة من متأخري الفقهاء مثل ذلك مانصه : واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما في مثل هذا الامر بل قضاء الله تعالى حاجة مثل هذا الاعرابي لظننا أسباب قد بسطت في محلها وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعاً مأموراً به فقد كان عليه الصلاة والسلام يستل في حياته المسألة فيمطيها وتكون محرمة في حق السائل حتى قال (اني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها ناراً) قالوا يا رسول الله فلم تطيهم قال (يا بون الا أن يسألوني وبأبي الله تعالى لي البخل) وقد يفعل الرجل العمل الذي يمتقده صالحاً ولا يكون عالماً أنه منهى عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع وعمامة العبادات المبتدعة المنهية عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل بها نوع من الفائدة وذلك لا يدل على ثبوتها مشروعاً

لو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نهى عنها ثم الفاعل قد يكون متأولاً أو مخطئاً مجتهداً أو مقلداً فينفر له خطأه ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطيء وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع اهـ

وأما الآية الشريفة فقال الحافظ ابن عبد الهادي لم يفهم أحد من السلف ولا الخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو وارهوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم ثم لم يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة وتصل من الذنب وهذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم إن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه فقال يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين فلما استأثر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ونقله من بين أظهرهم إلى دار كراهته لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ومن يقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت واقترب على الصحابة والتابعين وهم خير القرون على الإطلاق هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه وتعالى من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من إمارات النفاق ووقف له من لا توبة له من الناس ولا يعد في أهل العلم وكيف أغفل هذا الأمر

أئمة الاسلام وهداة الانام من اهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم
لسان صدق في الامة فلم يدعوا اليه ولم يحضوا عليه ولم يرشدوا اليه ولم
يفعله احد منهم البتة بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الفلاة
فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفأة عما يحبه ويأمر به من
التوحيد والعبودية ولما كان هذا المنقول شجى في حلق البغاة وقذى
في عيونهم وريية في قلوبهم قابلوه بالتكذيب والطعن في المناقل ومن
استحى منهم من اهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل وبأبي الله الا
أن يعلي منار الحق ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد وتقوم الحججة على المغاند
فيعلي الله بالحق من يشاء ويضع برده وبطاره وغمط أهله من يشاء وبالله
العجب كان ظلم الامة لانفسها ونبياحي بين أظهرها موجود وقد
دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء فلما
توفي صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لانفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم
الى المجيء اليه ليستغفر له وهذا يبين ان هذا التأويل الذي تأول عليه
المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعا ولو كان حقا لسبقونا اليه علما وعملا
وارشادا ونصيحة ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد
السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة فان هذا يتضمن انهم جهلوا الحق
في هذا وضلوا عنه واهتمى اليه هذا المعترض المستأخر فكيف اذا كان
التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب
في رده وانما نبيه عليه بعض التنبيه

ومما يدل على بطلان تأويله قطعا انه لا يشك مسلم ان من دعي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض

عن المجيء وابه مع قدرته عليه كان مذموماً غاية الذم مغموصاً بالنفاق ولا كذلك من دعي الى قبره ليستغفر له ومن (١) بين الامرين وبين المدعويين وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل وقال على الله ورسوله وأمناء دينه غير الحق . وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو انه سبحانه صدرها بقوله (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) وهذا يدل على ان مجيئهم اليه ليستغفروا اذ ظلموا انفسهم طاعة له ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم ان على من ظلم نفسه بعد موته ان يذهب الى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفي الايمان عن لم يحكمه وتحكميه هو تحكيم ما جاء به حيا وميتا ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك انه قال «لا تجعلوا قبوري عيداً» ولو كان يشرع لكل مذنب ان يأتي قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين وهذه مضادة صريحة لدينه وما جاء به اه ثم قال وأما قول المعترض: واما الآية وان وردت في اقوام معينين في حال الحياة فانها تعم بعموم العلة: فحق فانها تعم ماوردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه وجاءه كذلك واما دلالتها على المجيء اليه في قبره فقد عرف بطسلاها وقوله وكذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحاليتين فيقال له من فهم هذا من سلف الامة وائمة الاسلام فاذا ذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة او التابعين او تابعي التابعين او الائمة

(١) لعله سقط من هنا كلمة (ساوي) أو كلام بمعناها

الاربعة او غيرهم من الائمة واهل الحديث والتفسير انه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته او عمل به او ارشده اليه فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى ظاهرة البطلان وأما حكاية العتي التي اشار اليها فانها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين وليست بصحيحة ولا ثابتة الى العتي وقد رويت عن غيره باسناد مظلم كما بينا ذلك فيما تقدم وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما في مثل هذا الامر الذي لو كان مندوبا لكان الصحابة والتابعون اعلم به وأعمل به من غيرهم وبالله التوفيق اه

فان قيل قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم «حياتي خير لكم تحذونون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم» فالجواب ان حال الوفاة لا تقاس على حال الحياة وانه لا يعلم حال البرزخ الا الله ولا نريد على ما شرع لنا ولم يشرع لنا طلب الاستغفار منه بعد وفاته ولو كان مشروعاً لبادر اليه الصحابة والتابعون وتابوهم ولم ينقل عنهم من ذلك حرف واحد ومن لا يسمعه ما وسمعهم فلا وسع الله عليه

قال الهندي «والدليل الخامس قال الامام القسطلاني في كتابه المواهب الدنية ان التوسل بحضور النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة في عالم البرزخ ثابت بطرق كثيرة ثم الامام الممدوح يكتب قصة ويقول كان لي داء عجز عنه الاطباء الحاذقون كم ستين مضيت علي هذا قال اقمت به سنين فاستعنت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة بمكة زادها شرفاً ومن علي بالعود البها في عاقبه بلا محنة فبينما أنا نائم اذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء

لداء احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن من النبي ثم استيقظت فلم اجديني والله شيثا مما كنت اجده شيثا ببركة النبي صلى الله عليه وسلم: «
اقول نص عبارة المواهب اللدنية هكذا (واما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصاء) وفي كتاب مصباح الظلام في المستعيبين بخير الانام في اليقظة والمنام للشيبخ ابي عبدالله النعمان طرف من ذلك (وقد كان حصل لي) ثم ذكر قصته السابقة وغيرها فانظر كيف حرف عبارة القسطلاني حتى في المعنى وهل في ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع هذا مما يحتمق ان هذا الرجل من اجمل القصاصين وقد ذكر في كشف الظنون حكاية عن القسطلاني تدل على تدليسه في النقل اما قول القسطلاني فهو محل النزاع واما ما وقع له من الشفاء في المنام وكذا لغيره فلا يصلح للاستدلال فضلا عن ان يكون دليلا قطعيا فليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي ان يكون مشروعا مأمورا به كما تقدم بيانه . وهنا نكتة طيبة وهي ان الوهم اكبر عامل في الانسان وهو عند ظنه بنفسه فتخيّل المريض ان شفاؤه يكون في الشيء الغلاني انصرفت نفسه اليه واتفحت مسامه لتلقيه بأدنى مناسبة وانبعث دمه في جسمه لذلك وربما كان الوهم قاضيا على الصحيح كما هو مشاهد في أيام الوباء ثم اعلم ان كل من تعلق قلبه بشيء وشغف به أكثر من ذكره وشخصه في جميع أحواله وراه في منامه على حسب استعداد خياله فينسج الحلم له أشياء عجيبية كما ترى ممن يغالي في شيخه أو وليه ومعتقده من أهل كل ملة ينسب اليه كل ما حصل له من خير أصابه أو فرج من كرب نابه ويجهل كل ما صادفه من النجاح في أموره كرامة (م ٧ - فصل المقال)

لمن يعتقد انه يذكر له المرأى الطويلة العريضة دون غيره كما أن الطالب المشغوف بكتابه والبحث فيه لا يرى في نومه إلا تصفح أوراقه والجدال مع رفقاته وربما انحل له الاشكال في منامه قال الرئيس ابن سينا في ترجمته عن نفسه ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى ان كثيرا من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام اه وذلك أن النائم انما يحلم بالامور التي مرت عليه يقظة او قامت خيالاتها في ذهنه او خطرت بفكره او الامور التي اعتاد الخوف منها او الفرح بها فالاحلام مرآة أفكار الانسان وصور تأثرات عقله وربما دلت على اعتدال مزاجه او اعتداله. ولسنا ننكر الرؤيا الصالحة ولكننا نقول لا ينبغي عليها حكم شرعي لانها قد تشبه على الرأى او تكون من تحزين الشيطان او مما يحدث به الرجل نفسه كما في الحديث، وقد ذكر شيخ الاسلام في كتاب الفرقان شيئا كثيرا من الاحوال الشيطانية مما يعترف به ارباب الدين قال رحمه الله تعالى ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق اما حي او ميت سواء كان ذلك الحي مسلما او نصرانيا او مشركا فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بهض حاجة ذلك المستغيث فيظن انه ذلك الشخص او هو ملك على صورته وانما هو شيطان اضله لما اشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له انا الخضر وربما اخبره ببعض الامور واعانه على بعض مطالبه كما قد جرى ذلك لغير واحد من المساميين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ثم ذكر أموراً غريبة وقد ذكر الحكيم البيورني في تاريخ الهند ما نصه وتوجد رسالة لارسطوطاليس في الجواب عن مسائل

للبراهمة انفذها اليه الاسكندر اما قولهم ان من اليونانيين من ذكر ان
الاصنام تنطق وانهم يقربون لها القرابين ويدعون فيها الروحانية فلا علم
لنا بشيء منه ولا يجوز أن نقضي على ما لا علم لنا به فانه ترفع عن رتبة
الاغبياء والعوام وإظهار أنه لا يشتمل بذلك اه وانما استرسل القلم في ذلك
لاسترسال الناس في هذا الباب حتى انه كل يوم يبدو لنا فيه كتاب
وأظن ان أول من ألف في ذلك صاحب مصباح الظلام ذكر في خطبته
انه لما رأى كثيراً من العلماء الفواكتبا كثيرة فيمن استغاث بالله وحصل له
الفرج بعد الشدة فصد أن يذكر ما وقع ممن استغاث بالنبى صلى الله وسلم
ولاذ به لما قفل مع الحاج سنة ٦٣٩ والله اعلم

قال الهندي : « السادس قد ثبت في كتب الاحاديث بسند صحيح ان في زمن
سيدنا عمر رضي الله عنه لما قحط الناس ولم يمتطروا كان عمر رضي الله عنه بحضور
الصحابة كلهم يتوسل بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله بالالفاظ
المندرجة في الذيل اللهم استقنا بعم نبيك فيقول الراوي فيستقو حتى لم يدخلوا في
المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغ منزلا قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضله
انطق الله الحق عن على لسان عمر :»

أقول نعم أنطق الله الحق على لسان عمر حتى في هذه المسئلة فحصل به
فصل الخطاب عند الألباب فلو كان التوسل ولي به صلى الله عليه وسلم بعد
انتقاله من هذه الدار جائزا لما عدل عنه الفاروق الى التوسل بعمه العباس
بحضور الصحابة رضي الله عنهم وهم في أمرهم فعدو لهم هذا دليل واضح على
ان المشروع ما سلكوه فما أحسن الحجة اذا برزت من فم الخصم فيكون حاكما بها
على نفسه . فان قال هذا الحديث يدل على التوسل بالذات قلنا نعم لكن مع

الدعاء في الاستسقاء كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم يتوسل أصحابه بدعائه وشفاعته لهم فيدعوا ويدعون معه ويؤمنون على دعائه ثم استمسوا من بعده بعنه العباس كما روي البخاري عن أنس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بديننا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون وقد بين ابي زيد بن بكار صفة ما دعا به العباس فاخرج باسناده ان العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم انه لا ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبه وقد توجه به في القوم اليك لمكانتي من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث : فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الارض وعاش الناس كما في الفتح ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين لانهم أقرب الى الاجابة والافضل أن يكونوا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد توسل معاوية لما قحط أهل الشام بدعاء يزيد بن الاسود الجرشي التابعي الشهير لما اعتقد فيه الصلاح وقبول الدعوة قال اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا يزيد بن الاسود يا يزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا وما زالت هذه السنة جارية الى هذا العهد في جميع البلاد الاسلامية في الاستسقاء كما انه لا يزال طلب الناس الدعاء من الخبار ومن بعضهم بعضا كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون منه الدعاء في حياته صلى الله عليه وسلم بل قال لعمر لما خرج معتمرا : لا تنسنا يا أخي من دعائك : ومن هذا الباب استغاثة الناس يوم القيامة بالانبياء ثم ينتهون اليه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم فانها هي طلبهم من الانبياء أن يدعوا الله تعالى ان يفصل بين العباد بالحساب

حتى يربحهم من هول الموقف وحقيقة الشفاعة المأذون فيها ان الله سبحانه هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص والتوحيد فيفخر لهم عقب دعاء الشافعين الذين اذن لهم في المشفوع له ليكرمهم على حسب مراتبهم وينال نبينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون وأما قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) فقال في الكشف في تفسيره اي هو ما لكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا له وبالجلة فقد كان صلى الله عليه وسلم يشفع لأئمة بدعاء واستسقاء واستغفار في حياته ويطلب منه اصحابه ذلك فلما لحق بالرفيق الاعلى لم يطلب منهم أحد شيئا من ذلك وستطلب منه جميع الامم ذلك يوم القيامة ويكون لامته منه النصيب الاوفر عند حصول الاذن له من الله تبارك وتعالى كما وعده به من ذلك المقام المحمود فقد امتاز الله تعالى عن ملوك الدنيا في الشفاعة بانه لا يشفع عنده احد الا باذنه فهو مالك لها لا تطلب الا منه سبحانه وتعالى قال السويدي كما نقله عنه في جلاء العينين فينبغي لمن اراد ان يدعو بطلب الشفاعة أن يقول اللهم لا تحرمني شفاعة عليه الصلاة والسلام اللهم شفعه في ونحو ذلك ولو كانت تطلب منه صلى الله عليه وسلم الآن لجاز لنا ان نطلبها أيضا من وردت الشفاعة لهم كآقرآن والملائكة والافراط وهم أطفال المؤمنين والحجر الاسود اذ قد ورد انه يشفع لمثل ربيعة ومضر وبالصالحين ولجاز لنا ان ندعوم ونتجىء اليهم ونرجوهم بهذه الشفاعة لهم والاذن فيها فنصير اذن والمشركين الاولين في طريق واحد ولم تفرق الا بالاعمال الظاهرة كالصوم والصلاة وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها ومن

(م - ٧ فصل للمقال)

غير اعتقاد لحقيقتها ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل او فكرة
فيما صح من النقل انتهى وقد بين ان جل احوال المشركين من آلهتهم
التوكل عليهم والاتجاء اليهم بشفاعتهم ظنهم أنها نافعة عنده تعالى
فارجع اليه ان شئت

قال الهندي: «وايضاً قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين كأننا امرنا
باتباع سنته وكان من سنته رضي الله عنه الدعاء من الله تعالى بتوسل الأولياء
كأنما امرنا بانغاء التوسل بالانبياء عليهم السلام والأولياء العظام فيه اسرار
خفية . بدق فهمها للاذهان الركيكة الا من كان له من الله تعالى قلب
سليم وطبع مستقيم»

أقول انظر الى هذه العبارات الركيكة فاعلك تفهم من المقال وجملة
الكلام ان هذه أشبه بمقدمات منطقية كانه يقول سنة عمر في التوسل
ثابتة وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي الخ فسنة عمر مأثور باتباعها
كسنته صلى الله عليه وسلم ونحن نقول كذلك نعمت السنة ونعم العمل
بها من غير زيادة عليها ولا تصرف فيها ولا اخراج لها عن محلها فكل
من عمل عملاً لم تجر عليه الصحابة فهو مردود على صاحبه وبثت
البدعة تتولد عنها بدع ويتسع الخرق على الراقع فانظر ماذا تولد من القول
بجواز التوسل بالانبياء والصالحين بعد ما تمهم وماذا حدث من تشييد القبور
وتحسينها من مفسد يبكي لها الاسلام كما قال الشوكاني منها اعتقاد الجهلة
كاعتقاد الكفار بالا صنم وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع
ودفع الضر فجعلوها مقاصد لطلب قضاء الحوائج والمطالب وسألوا منها
مسألة العباد من ربهم وشدوا اليها الرحال واستغاثوا بها وبالجملة لم يدعوا

شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالاصنام الا فعلوه فان الله وانا اليه راجعون ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لانجد من يفضب لله ويفارحمية للدين الحنيف لا عالما ولا متعلما ولا اميرا ولا وزيرا ولا ملايكا وقد توارد اليانا من الاخبار ما لا يشك معه ان كثيرا من القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلثم وتلكأ وابي واعترف بالحق وهذا من ابين الادلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة فياعلماء الدين وياملوك المسلمين اي رزء للاسلام أشد من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضرعليه من عبادة غير الله واي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة واي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجبا

لقد اسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها اضاءت * ولكن انت تنفخ في رماذ

وانظر إلى قوله إن في التوسل بالانبياء والاولياء اسرار خفية يدق فهمها الاعلى صاحب القلب السليم فلو كان له قلب سليم لم يفوه بهذا الكلام السقيم المشعر بأنه لم يسلم من شائبة الشرك الوخيم ولم يدق حلاوة الاخلاص لربه العليم فكل إبناء بما فيه ينضح وقد اشرنا سابقا الي شيء من تلك الاسرار الدقيقة عند الاذهان الركيكة فتأمل وانظر كيف فاتت هذه الاسرار الضخابة ومن بعدهم وخص بها هذا الهندي او غيره ممن هذا حذوه

قال الهندي: «ياشيخ ما لكم ان تقعون في المسائل الدينية عليكم بيان

فمن الرز والاقشة ما علينا الا البلاغ هذا كلام بطريق الایجاز والاختصار
وما خطر لي الآن بال والله أعلم بحقيقة الحال :

أقول من ذا الذي يمنع التاجر في الرز والاقشة وغيرها من طلب العلم
والبحث مع أهله والارشاد بقدر ما علم حتى يكون عاملا به ليس ذلك
من واجب العلم كما قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما
لم يعلم » وكيف ينمو العلم مع الانسان اذا لم يذاكر به ويرشد اليه لكن
بمقدار ما عنده ولا يتجاسر على القول بما لا يعلم مثل هذا الرجل الهندي
الذي جعل نفسه في عداد الانبياء فقال ما علينا الا البلاغ وهو يلحن في
كلامه ولا يفصح عن مرامه وكيف يروي الحديث من لا يعرف علم
العرية فأقل درجات المبلغ ان يكون مقتدرا على إفهام مخاطبه عن علم لا
عن جهل واعلاها ان يكون مؤثرا عليه آخذا بمجامع قلبه مخاطبا لوجدانه
مستخدما لعقله مقيما له الحجة مع صدق الحال اما هذا الهندي فليس عليه
البلاغ بل عليه البلغة بالتعلم والوقوف عند ما يعلم ولا يزيد عليها ما لا يعلم ولا
يحرم العلم على من يطلب العلم ويرغب فيه ويذاكر أهله ويرشد جاهله تاجرا
كان أو فقيرا سيدا كان أو عبدا وعلى هذا الهندي ترك الدعوى فلها
فضيحة وان كانت صحيحة قال بمضمون الدعوى تظفيء نور المعرفة فالعالم
الصادق من يتأدب بآداب العلم ويقف عند حده ويكل العلم الى عالمه
ويقول رب زدني علما وكما افتتح له باب من العلم تصاغر في نفسه
قال الهندي: « العاقل يكفيه الاشارة والعاقل لا تنفعه النقارة مصراع
من الشعر لن يصلح العطار ما أفسده الدهر آخر دعوانا ان الحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين » :

أقول أتى بهذا المثل (العاقل تكفيه الإشارة) تمويها على السامع بأن علمه واسع وان ما ذكره نقطة من بحر على حسب الإشارة مع ان هذا يخالف ما أورده في أول الرسالة بأن فيها البراهين القاطعة والحجج الساطعة وهو المطابق لاعتقاده والواقع في نفس الامر أن ما ذكره هو غاية مبلغه من العلم في هذا المقام وهو أعظم ما عند غيره ممن حدادوه ونقل عنهم وقد بينا بحمدته تعالى الجواب عن تلك الشبه بيانا شافيا وبسطنا القول عما يتعلق بها فكان وافيا كفايا يستعين به من طالعه على دفع معظم ما أورده صاحب كتاب شواهد الحق في الاستقانة بخير الخلق لبعض أهل العصر فانه لم يكبر حجه الا بالنقول المتكررة في معناها والحكايات المتضمنة للاستقانة والاشعار التي فيها وكان عليه ان يستوفي حقا وينقل ما فيها عن الشيخين ابن تيمية وابن القيم ثم يردده حرفيا فان كتبهما انتشرت الآن في الآفاق وأقبل عليها الحدائق وعسى ان بعض اخواننا يكفيننا المؤونة في رده خدمة للحق والحقيقة وعشاقها والله يوفق لآله سواه

وأما قول الهندي: مصراع شعر لن يصلح العطار ما أفسده الدهر: فلم ندر ماذا قصد به ولا نعيب عليه تكسير الشعر فانه لا يعرف النحو فضلا عن العروض ولعله يعني التجارة فليوازن بين كلامنا وكلامه وليجب صاحب التجارة ان كان عالما ونحن مستعدون لقبوله ان ظهر الحق معه ومناقشته الحساب ان اخطأ الصواب فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها ولسنا نقول له

ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضرة
ولا نقول الا لا يجهرن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولكن نقول من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ونعمل ان شاء الله
بقوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي أحسن) والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(خاتمة)

قد ظهر مما قررناه ان السنة في التوسل باسمائه تعالى وصفاته
والاعمال الصالحة للداعي المتوسل وبدعاء الصالحين كما في الاستقاء وقد
تبين لك عذر المانعين من التوسل بالانبياء والصالحين بعد الممات وانهم
لم يقصدوا إلا سد الذريعة والوقوف عند نصوص الشريعة وان القائلين
بالتوسل بالذوات ليس لهم دليل الا ماورد من ان عمر استسقى بالعباس
رضي الله عنهما وقال كنا نتوسل اليك بنبينا الخ وقد علمت ان ذلك في
حياتهما وانه من قبيل طلب الدعاء من الاخير ومثل ذلك ما في حديث
الاعمى وحديث الشفاعة وليس محل النزاع انما هو بعد موت الذوات
وأما قياسهم لها على الاعمال او حال الحياة فردود لوجود انفارق وهو
مظنة القتنة والاستدراج في الغلو بالتعظيم مع ان العبادة بالتوقيف من
الشارع لا بد من سبب بين السائل والمسئول به ومجرد ذوات الانبياء
والصالحين ومحبة الله لهم وحصول الجاه لهم عنده ليس بها ما يوجب
حصول مقصود السائل كما سبق

وأما قول الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي في فتواه
بعد مقدمة فن قال اللهم اني اتوسل اليك برسلك وأنبيائك ونحو ذلك
فانما يريد باجتبائك وارتضائك واصطفائك واختصاصك اياهم بالرسالة

والنبوة ونحو ذلك وهكذا صفات أفعاله تعالى فالتوسل بها ليس توسلا
بغيره تعالى وحينئذ فلا فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء
والاولياء ولا بين كونهم أحياء وأمواتا اه فالجواب عنه من وجهين الاول
انه ليس كل قائل ذلك يعتبر هذا الاعتبار وان الكلام على حذف مضاف
بل لا بد أن يلحظ معه بقلبه توسطهم في قضاء حاجته وانهم يشفعون له عند
ربه ويقربونه اليه وهذا ما نحاذره فان تخصيصهم بالذكر مظنة انقننة كمن
يخص قبر وليه بالنحر عنده قائلا ان هذا صدقة عني أو عن روح هذا الولي فلم
يخص النحر بهذا الموضع ولم يخصص هذا الولي دون غيره فان لسان
الحال يقول * وفي النفس حاجات وفيك فطانة* الوجه الثاني ان ذلك ان
جاز في التوسل بالاولياء هكذا اجمالا بغير تعيينهم فلا يجوز في المعين بدعوى
انه ولي لانه لا يجوز الحكم على أحد انه ولي الله فانه من الغيب الذي
لا يعلمه الا الله كما في تفسير الحافظ ابن كثير فاذا علمت ان أمر العبادة
بالتوقيف والاتباع كما سبق فالوقوف عند المأثور والعمل به نور وجلاء
لما في الصدور وفي الادعية الواردة الكفاية فما أحسن الوقوف عندها
والدعاء بما لا خلاف فيه أفضل بالاجماع ومن أسباب قبوله وكيف توسل
بالانبياء والصالحين ولم يتابعهم فقد خالفناهم بهذا التوسل المبتدع الذي لم
يشرع وكيف ندعي حبهم ولم يتابعهم والله يقول (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني)
فلم يكن يبتناو بينهم هذا السبب الذي يربطنا بهم ويسوغ الوسيلة ومجرد
سؤال الله بهم وبجأهم من غير اتباع لما جاء به الرسول لا ينفعا فسؤال
الله بأحد من خلقه مكروه كراهة تحريم على الاصح كما قال به جمهور العلماء
لما فيه من الاقسام على الله بخلقه وهو تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات

فشأنه عظيم سبحانه وتعالى وأما ما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه من انه قال (رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره) فهذا من باب الحلف بالله سبحانه ليفعلن هذا الامر فهذا اقسام عليه تعالى به ليس اقساماً عليه بمخلوق على أن الامر في التوسل بالانبياء والصالحين سهل اذا لم يتجاوزه الى غيره فان اصل وضعه هكذا توسل اليك يا الله بجاه الانبياء او بحقهم او ما اشبه ذلك مع توجيه الطلب الى الله منه سبحانه ولكن القول بذلك استدرج الناس الى الخروج عن هذا الحد وادى الى المكوف حول القبور ودعاء اصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد واخذ تربتها تبركا واسراجها وتخليقها وغير ذلك كما قال اليماني

أعادوا بها معنى سواع ومثله يفوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحرروا في سوحها من بحيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف عند القبور مقبلا ويلتمس الاركان منهم بالأيدي

فترى احدهم قد اتخذ اسم وليه ذكرا على لسانه من دون الله ان قام وان قعد وان عثر ويزعم بانه باب حاجته الى الله ووسيلته اليه وهكذا كان عباد الاصنام اتخذوا تماثيل الانبياء والملائكة وسائل ووسائط يدعونها ويرجونها التشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم وتقربهم منه زلفى ولم يمتقدوا فيها الضرو ولا كشفه ولا إمساك الرحمة عنهم قال في الاقتناع وشرحه من كتب الحنابلة من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعا لان هذا كعمل عابدي الاصنام قائلين « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » اهـ

فالطامة الكبرى هو دعاء غير الله الذي يسميه علماء السوء توسلا واستغاثة فان الدعاء عبادة خاصة به تعالى لا يجوز صرفه لغيره كالسجود والذبح وغيرهما ولم يرد في نوع من انواع الكفر والردة من النصوص مثل ماورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه فكيف من آيات صريحة قال تعالى (واذا مس الانس ضر) الآية وقال (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير ان تدعوهم) الآية وقال (فلا تدع مع الله الهاء) وقال (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) ولولم يكن في القرآن الا مجرد طلبه من خلقه لكان ذلك كافيا في كونه عبادة فكيف اذا انضم الي ذلك النهي عن دعاء غيره تعالى وقد توعد خلقه على الاستكبار عن الدعاء كما جعل جزاءه الاجابة لما أمرهم فقال (ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم) والاستكبار هو تركه لان الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فكان تاركة انما تركه لاجل ان يستكبر عن العبودية ولا يتحقق الدعاء الا اذا كان الداعي معولا بقلبه على تحصيل مطلوبه فن دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله أو جاهه أو اقاربه أو اصدقائه أو جده أو اجتهاده أو وليه فهو في الحقيقة مادعا الله الا بلسانه اما بالقلب فهو معول على تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا العبد مادعا الله كما قال ذلك بعض المفسرين فلا شك ان الدعاء من اجل الطاعات وأعظم العبادات بجميع معاني العبادة الاصطلاحية واللغوية فانها نهاية الخضوع والتذلل قال بعضهم انها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من دعاء ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وزكاة وصلة رحم وبر وقال الفقهاء كل ما أمر به شرعا من

غير اطراد عمري ولا اقتضاء عقلي وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لداء مخ العباداة وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الدعاء هو العباداة» ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) قال الترمذي حديث حسن صحيح قال الشارح معنى قوله صلى الله عليه وسلم لدعاء هو العباداة أي خالصها لان الداعي انما يدعو الله عند انقطاع أمه مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص انتهى فمن صرف هذه العباداة لغير الله بأن دعا ميتا أو غائبا طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من قضاء حاجة أو تفريج كربة فقد أشرك قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته السنوية لما تكلم على حديث الخوارج فاذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه قد انتسب الى الاسلام من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب في هذا الزمان قد يمرق أيضا وذلك بامور منها الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عمدي بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية بمثل ان يدعو من دون الله بأن يقول ياسيدي فلان اغثنني أو اناني حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والاقتل فان الله أرسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه آله آخر والذين يجملون مع الله الهه اخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يمتقدون انها تخلق أو ترزق وانما كانوا يدعونهم «ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» فبعث الله الرسل تنهى ان يدعوا من دونه ندًا لا دعاء عباداة ولا دعاء استغاثة

انتهى . فعلى هذا من يعتقد فيمن يدعو النفع وانه له قدرة على اجابة المضطر
واغائة الماهوف وقضاء حوائج السائلين يكون أشركه في الربوبية وذلك لم
يبالغه شرك المشركين من اهمل الجاهلية من الاميين والكتابين بل هو
قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا وتديرا فالى الله المشتكى
من اناس يدخلون في باب التوسل دعاء غير الله مما يجري على السنة
العامية ويدافعون بالكابرة ويكذبون الوجودان والمحسوس ويخدعون
أنفسهم ويفررون بخلق الله ولم أر من أولئك المدافعين من تنازل الى
القول بتحريم ذلك الا القليل منهم علامة ثغرنا الشيخ علي باصبرين
الشافعي الحضرمي نزيل جدة قال رحمه الله في كتاب ارشاد اكل العبيد
لخالص التوحيد مانصه والذي اراه وهو الحق الذي عليه انشاء الله
المعول في المسألة الاولى ان من قال يارسول الله مثلا وهو يعلم ان المدعو
ليس له شرك في الملك ولا التأثير ولا التدبير ولا في اعانة على تحصيل
شيء من المنافع ولا دفع شيء من المضار ولا تحصل شفاعته عند الله له
من الغير ولا تغيره منه الا باذن الله ولا يملك لنفسه ولا يدفع عنها فضلا
عن غيره موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا ولا عزا ولا ذلا
ولا غنى ولا فقرا ولا نصرا ولا قهرا مع كونه جازما ان شفاعته وسؤال
الشافع والسائل له عند الله لا يغير شيئا مما في علم الله ثبوتا او تقيانا فان ما
سبق في علمه تعالى لا يتغير بدعاء ولا شفاعته داع او شافع وانما فائدة
الدعاء والشفاعة حينئذ امثال الامر والتلذذ بخطابه تعالى وما شرع الدعاء
الا وقد أعد الاجابة وفق مراده تعالى وعامه ولا يرى ان المدعو أرحم
أو أراف أو أجود أو أكرم أو أسترا أو أسمع من الله تعالى لدعائه ولا

مثله لا يكفر ولا يشرك الكفر والشرك الجليين المخرجين له من دائرة الاسلام والايمان الذين هما حصن من خلود الجحيم لان مجرد دعاء غيره تعالى لا يوجب الكفر الجلي وانما فيه تفصيل يرجع الى الداعي والمدعو اليه فان سلمت عقيدة الداعي كما ذكرنا نظر الى المدعو اليه فان كان مما جرت العادة فيه ان لغير الله فيه بحسب الظاهر دخلا كان قال عطشان يا فلان اسقني أو عاجز عن الركوب يا فلان احمني على دابتي أو من أقبل عليه عدوه لآخيه النصراني على عدوي أو أغثني جرت فيه الاحكام الخمسة لا الكفر الجلي وان كان مما لا دخل فيه لغير الله كيا فلان وفقني أو اغفر لي ذنوبي أو ادخاني في غدنتك أو اشتري لي ثيابا يموت فهذا كله ونحوه كاجرتني من الله أو من عذاب الله أو اسعدني مما يحرم التفوه به مطلقا وهو الشرك الخفي ولا يخرج عن الدين ويجزر ويعزر صرته هذا مع سلامة عقيدته الباطنة والا فهو كافر مطلقا قال أولم يقل لا فرق بين المدعويين أن يكون حاضرا أو غائبا حيا أو ميتا رسولا أو نبيا أو غيرهما ذا روح أولا لما في تلك الالفاظ من ايها غير واقع اذ لا يطلب ذلك إلا منه كالحفظ من المكروهات والشفاء من الامراض ودفع الاستقام والنصرة الدائمة على الاعداء وان كان مما تجري العادة بطلبه من المخلوق مع سلامة عقيدة الداعي وامكان حصوله باذن الله من المدعو كيا فلان اشفع لي عند ربي وأسألك الشفاعة عند ربي مطلقا أو في حصول كذا مما يجوز طلب حصوله من الله عز وجل فلا كفر جلي ولا خفي نعم هو خلاف الاولى والاولى انما هو اللهم شفّع في فلانا بفضلك واحسانك واحسن منها اللهم بجاه فلان افعل لي أو بي كذا وكذا - واجعل واعز

وأعظم التشفع والتقرب والتوسل اليه تعالى بذاته وصفاته وأفعاله والاقسام بهن عليه تعالى أه - وقال في موضع آخر وانما اطلاق اللفظ الموهم حرام فقط مع صحة العقيدة وهو الشرك الخفي أعني مطلق معصية وليس ذلك شركا جليا مخرجا لقائله عن دائرة الايمان والاسلام كقوله شيء لله ياعمودي مثلا والحملة على الله أو حامل الجوار الله أو ما صدقت بالله يحصل أو يندفع لي أو عني له أو انظر الي فعل القدرة أو القدرة فعالة أو بحق فلان على الله أو يسأل من النبي أو من غيره ما لا دخل في تدييره غير الله تعالى كقوله يا فلان اهديني اغفر لي اصلح أعمالي اشفني ارزقني امطرنا ومن ذلك يا ولي الله جئنا اليك وحططنا الذنب بين يديك فان هذه ألفاظ موهمة في ظاهرها فان أضيف الى ذلك فساد العقيدة فهو الكفر الجلي وان سلمت سلم من الكفر الجلي وبقي عليه اسم الايمان باللفظ الموهم المعبر عنه بالشرك الخفي انتهى بحروفه فانظر الى تلك العقيدة الصحيحة التي أشار اليها في أول كلامه وانظر الى حال من تصدر منهم تلك الالفاظ والى ما قدمناه والى ما نقله هذا بنفسه عن الشيخ عبد الخالق الزجاجي الزبيدي ما نصه وقد قال تعالى في اثر سماء (أصبح من عبادي مؤمن وكافر أما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب) وقد ذهب العامة هذا المذهب في الاولياء فان مرضوا قالوا هذا من فلان وان شفوا قالوا بركة سيدي فلان فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله ونذروا لهم من دون الله واستسقوهم من دون الله فان أجرى الله تعالى الوادي قالوا

شيء لله يافلان وان قبض عنهم المطر قالوا حمقة فلان والله سبحانه القابض
الباسط المحيي الميت وكل شيء بيده من ملك وملكوت ولو ذهبنا
نتكلم في الكتاب والسنة من التحذير عن ذلك لكان يرى الناس قد هلكوا
ولهذا تراهم أكثر اتباع الدجال فافهم هذه الجملة انتهى ...

فان قيل فماتقول فيما جاء من ذلك في أشعار الخاصة من أهل العلم والادب
والفطنة ممن تصدى لمدهح النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين مما لا يأتي عليه
الحصر ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة فالجواب ان ذلك لم يقع من قائله الا لغفلة
وعدم تيقظ ولا مقصد له الا تعظيم جانب النبوة والولاية ولونبه لتنبه
ورجع وأقر بالخطاء والشعر مبناه على المبالغة التي تخرج صاحبها عن الحد
واذا كان القائل قد صارت تحت أطباق الثرى فينبغي ارشاد الاحياء الى ما في
ذلك الكلام من الخلل ليحصل به التنبيه والتحذير لمن كان له قلب وألقى
السمع وهو شهيد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذهديتها وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) كما قال ذلك الامام
الشوكاني في الدر النضيد في اخلاص التوحيد وينبغي نشره بلسان الطبع
وكذا كتاب تطهير الاعتقاد للسيد محمد بن اسماعيل الامير الصغاني وكذا
كتاب تجريد التوحيد للامام المقرئ صاحب الخطط وكذا كتاب سيف
الله على من كذب على اولياء الله لصنع الله الحلبي الحنفي وينبغي لفضلاء
العصر التفنن في الارشاد الى ذلك الموضوع بتأليف الرسائل الكثيرة
ونشرها بين الناس كما رأينا ذلك من بعض أرباب المهتم العلية كثر الله أمثالهم
كما انه ينبغي لولاة الامور وفقهم الله بعث الدعاة الى البادية واطراف البلاد
لنصح العامة وارشاد الجبهة وسد الذرائع المفسدة وقطع عروق البدعة

ولنختم هذه العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب
المكي في رسالته في التوحيد فانه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله
ووقفه الأمر انه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك
التصرف ابتداء أو مترتبا على تصرف آخر كأن يخلق شيئا ويخلق بذلك
شيئا آخر وهذا هو القول بالاسباب ولكن مع الاعتراف بان الله قادر على
خلقهم مع قطع النظر عن السبب أخذا بعموم قوله تعالى (انما أمرنا شيئا اذا
أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض) لاهية كما
ترجمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك ولا كما ترجمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدره لخلقها أفعالها ولا
كما ترجمه غلاة المنهمكين في الاولياء من أن لهم التصرف وان الله أعطاهم
تصرفا في العالم وأنهم يولون ويعززون ويذلون . . . ولا أصالة ولا قائل
به (وما لهم فيهما من شرك) بخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضا على
المعتزلة إذ العبد لو خلق فعلة لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم
من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل
ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون
ما بعدهم الا ليقربونا عنده زانفي وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب
الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا
شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فكيف لنا معرفة من أذن له فان نهاية
ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة

والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد قول الانبياء نفسي نفسي ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويحييك باي أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعاً اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئاً أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقرره وأيضا من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً—أمر ان لا تعبدوا الاياه—قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات اثنتوني بكتاب من قبل هذا أو أنارة من علم—فلا تدعوا مع الله أحدا—ان الذين تدعون من دون الله عباداً مثلكم) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه كمن قال يا شيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين) . واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه فأطاعه مطلقاً فان الله سمي ذلك المطيع عابداً لذلك المطاع ومتخذة ربا قال الله تعالى {لا تعبدوا الشيطان—يا أبت لا تعبد الشيطان—اتخذوا أحبارهم

ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه فاذن ليس لأحد ان يعبد غير الله ولا أن يدعو وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء مخ العبادة وأما من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله مكرهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه أولى من هذه الحيشية وسدا للذرائع لان الجملة لا يفرقون بين التوسل والاستشفاع والطلب من المتوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم نحس ووص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الادلة الواردة بالتجويز مع ضعفها فانها لا تفيد الا جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع بتره من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من المتبدعين انتهى . وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة يا شيخ عبد القادر شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند اجاث شريفة في هذا المقام لا تقدر على ارادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت لو لم يقبض الله أونثك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما ما دار بينهم وبين الناس من القتال فمقد كان سببه من منعهم الحبح وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف

ما يفتريه الناس في حقهم وأن مرجعهم في الأحكام والاعتقاد إلى كتب السنة والتفسير ومذهب الإمام أحمد وطريقة الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فلهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الألباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحكما بينهما بما وصل إليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فإن الزمان قد ارتقى بالإنسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به إلى الحكيم بما في الصدر الأول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يحاكم بين غير الأقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين فإذا اظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الألفة ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرک والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرک أو يبدعک بالأحجة وذنبتك رغبتك عن طريقته الوحيدة وسيرته الذميمة فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الأودي صحبت معاذ باليمن فما فارقت حتى وارتني في التراب بالشام ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله بن مسعود فسمعت يقول عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ثم سمعته يوم من الأيام وهو يقول سيبي عليكم ولا تؤخرون الله على موافقتها فصلوا

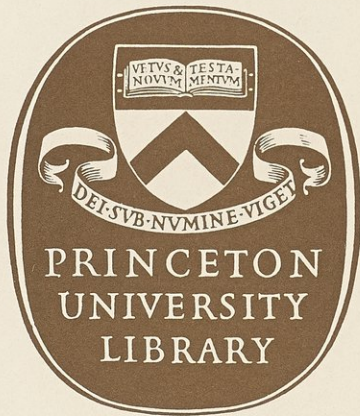
الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذلك قلت تأسرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال ياعمر بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب علي فخذي وقال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرهما البيهقي وغيره وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المتخلفون الذين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عيارا على السنة وجعل السنة بدعة والمعروف منكرا لثقة أهله وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذ شذ الله به في النار وما عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحدا منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع عليه لذلك فأخذ بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلاله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيج لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضي عليها سلفهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله

عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً { انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل ومنهم الشعراني قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً وفي رواية عنه لو أن فقيهاً واحداً على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذاً كان أمة قاتلاً لله حينفاً ولم يك من المشركين تشبيهاً له براهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

تم تأليف هذا الكتاب لاربع بقين من شعبان سنة ١٣٢٤ من هجرة سيد المرسلين ، عليه الصلاة والتسليم ، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم



Princeton University Library



32101 064954553

BP166
.K486
1906

RECAP

